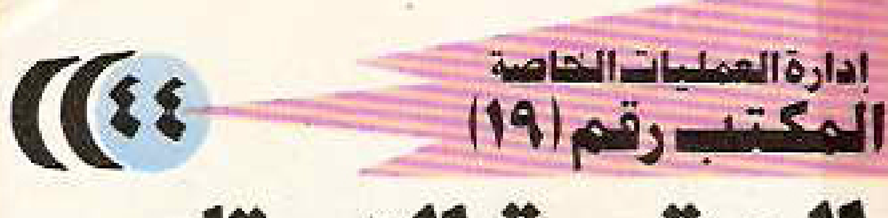
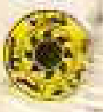








الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ العميل الغـامض ..

توقَّف الرائد (رفعت) ، فى ذلك الميدان الأنيق ، فى العاصمة القبرصية (نيقوسيا) ، يلتقط بعض الصور الفوتوجرافية ، لأسراب الحمام الرماديَّة ، التى تحطُّ فى اطمئنان ، على الأرضية الرخاميَّة للميدان ، وتلتقط ما يلقيه إليها السائحون من حبَّات الطعام ، فى أُلفة ودعة ، ولقد بدا له المشهد رائعًا رقيقًا ، خاصَّة وأنه لم يكن يعمل هذه المرَّة ، وإنما يقضى إجازة قصيرة ، تنتهى اليوم ، بعد أربعة أيام كاملة ، حصل عليها بعد شهر من العمل الشاق المتواصل ..

والواقع أنَّ (قبرص) بالذات تستهويه ، منذ أدَّى إحدى مهماته فيها ، فى العام الماضى ، وقد فتنته ــ آنذاك ــ بروعة مناخها ، وخضرتها الدائمة ، وإن لم يدرِ ، وهو يحيا حياة السائحين ، أن هناك من يراقبه ، ويتتبَّع حركاته فى دقَّة ..

كانا شخصين فى الواقع ، أحدهما قصير بدين ، له شعر أسود لامع ، تتهدَّل خصلاته على جبينه ، والآخر طويل القامة ، عريض المنكبين ، حادُّ الملامح والقسمات ، قصير

الشعر ، وكلاهما يخفى عينيه بمنظار قاتم ، والقصير يقول ، وهو يتابع (رفعت) فى دِقَّة :

ـــ ها هو ذا الرجل المنشود .

أجابه زميله فى حسم :

ـــ أأنت واثق من أنّ معلوماتك بشأنه صحيحة ؟

التفت إليه القصير ، قائلًا فى استنكار .

ـــ ومتى كانت معلوماتنا مثار شكّ يا (جيدو) ؟

غمغم (جيدو) فى لهجة تحمل نبرة اعتذار :

ـــ أردت التأكّد فحسب ، فالمبلغ الذى نراهن به على هذا الرجل ، أضخم من المجازفة .

قال القصير فى حِدَّة :

ـــ إنك تتجاوز حدودك أحيانًا يا (جيدو) ، وتنسى أنك مجرَّد أداة للتنفيذ ، أمّا عملية الانتقاء والتخطيط ، فهى لنا فقط .. إن ما جمعناه من معلومات عن هذا الشاب ، يؤكّد أنه الرائد (رفعت) ، من إدارة العمليات الخاصّة المصريّة ، وهو هنا فى (قبرص) للسِّياحة فقط ، وسيستقل طائرة (القاهرة) فى الثامنة من صباح الغد ... وهذا يجعله الرجل المناسب لنا ... المناسب تمامًا .

* * *

جلس (رفعت) فى ذلك الملهى ، الملحق بفندقه فى (نيقوسيا) يشاهد عرضًا للفرقة الشعبية اليونانية ، الذائعة الصِّيت ، قبل أن يسافر فى الصباح الباكر ، وجلس ذلك الرجل القصير ، الذى كان يراقبه فى الصباح ، عند منصَّة البار ، مع شخصين آخرين ، يراقبونه فى اهتمام ، والقصير يقول لزميليه :

ـــ عليكما بمراقبته طِيلة الوقت ، حتى ننتهى من مهمتنا ، ولا أريد أن يغيب عن نظريكما لحظة واحدة ، قبل أن يأتيكما (چوزيف) ، أو أتصل أنا بكما هاتفيًا .

سأله أحدهما مستفسرًا :

ـــ وماذا لو حاول الانصراف ، قبل انقضاء الوقت المحدَّد ؟

أجابه فى حسم :

ـــ سيكون عليكما إذن أن تعطِّلانه ، حتى ولو اقتضى الأمر افتعال شجار معه .

بدأت عروض الفرقة الشعبية ، فى نفس اللحظة التى أنهى فيها القصير عبارته ، وغادر منصَّة البار ، والملهى كله ، واستقلَّ مصعد الفندق إلى الدور الخامس ، حيث تظاهر

بالتوجُّه إلى إحدى الحجرات ، عند مشاهدته بعض روّاد الفندق ، ثم لم يلبث أن انحرف إلى حجرة أخرى ، فور ابتعادهم ، ودفع بابها فى سرعة ، ثم قفز إليها ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ولم يكد يفعل ، حتى التصقت فُوَّهة مسدس ، مزوَّدة بكاتم للصوت ، بجبهته ، فغمغم فى صرامة ، دون أن يفقد ذرَّة واحدة من أعصابه :

ـ اهدأ يا (چيدو) ... إنه أنا .

أبعد (چيدو) مسدَّسه ، وأعاده إلى غمده ، قائلًا :

ـ لقد أتيت مبكرًا .

أجابه القصير :

ـ أردت الاطمئنان بنفسى ... قل لى ... هل أودعت النقود بالحقيبة ؟

ـ نعم .

ـ حسنًا ... دعنى أراها .

أحضر له (چيدو) حقيبة سفر كبيرة ، وفتحها ، ثم دفع يده فى مكان خاصّ من بطانتها ، وانتزع عنها طبقة رقيقة خفية من الجلد ، يتعذَّر الانتباه إليها بالعين المجرَّدة ، وكشف خلفها

عدَّة رزم من أوراق النقد ، وهو يبتسم فى ثقة ، فى حين أسرع القصير يحصى رزم النقد فى سرعة ، قبل أن يقول فى ارتياح :

ـ رائع ... خمسة ملايين دولار كاملة .

ثم التفت إلى (چيدو) ، مستطردًا :

ـ أأنت واثق من مطابقة الحقيبة لحقيبة ذلك الرائد المصرىّ ؟

أجابه (چيدو) ، وهو يتناول حقيبة أخرى ، ويضعها إلى جوار الأولى :

ـ قارن بنفسك .

راح القصير يتفحَّص الحقيبتين بعينى خبير ، ثم لم يلبث أن ابتسم قائلًا :

ـ رائع .

ثم أردف فى ارتياح ، وهو يدير عينيه إلى (چيدو) :

ـ يبدو أننا لم نخطئ شيئًا حتى الآن ... الجزء الآتى كله يتعلَّق بك وحدك الآن .

تألَّقت عينا (چيدو) ، وهو يقول :

ـ سأنفِّذ الخطَّة على الوجه الأكمل .

اتسعت ابتسامة القصير ، وهو يقول :

ـ وستنال مكافأة سخيَّة ، إذا ما فعلت .. والآن هيَّا .. سنغادر حجرة الرائد قبيل عودته .

وبسرعة ، غادر الاثنان الحجرة ، بعد أن انتهت مهمتهما ...

وبدأت مهمة الشيطان ...

* * *

انهمك (رفعت) فى تصفُّح إحدى المجلات ، وهو يجلس داخل الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) ، والتى تستعد للإقلاع بعد لحظات ، دون أن ينتبه إلى تلك الفاتنة ، التى احتلت المقعد المجاور له ، ولم يكد ينتهى من مطالعة الصحيفة ، حتى استرخى فى مقعده ، وأرخى جفنيه ، والطائرة تهمّ بالإقلاع ...

وفجأة ... تساقطت عند قدميه مجموعة من الصور والخطابات ، هوَت من حقيبة تلك الجميلة ، وهى تفتحها بأصابع مرتعشة ، فأسرع يلتقطها ، ويقدّمها لها ، وهو ينتبه إلى جمالها الفاتن لأوّل مرّة ، فابتسمت هى ابتسامة خلّابة ، وهى تلتقطها من يده ، مغمغمة فى صوت ملائكى رقيق :

ـ معذرة ... يبدو أننى مرتبكة بعض الشىء ... أشكرك ...

وعلى الرغم مما يبدو واضحًا عليها من جمال أخاذ ، إلّا أنه

لاحظ تلك اللمحة الدّفينة من الحزن فى ملامحها ، فقال محاولًا جذب أطراف الحديث معها :

ـ إنجليزيتك تشوبها لكنة غريبة ياسيّدتى ... أأنت قبرصية ؟

أجابته فى رقّة :

ـ بل إيطالية ، واسمى (سيلفانا) ... وأنت أيضًا لا تبدو قبرصيًا ، فملامحك شرقية على الأرجح .

ابتسم قائلًا فى اعتزاز :

ـ أنا مصرىّ وكنت أقضى إجازتى فى (قبرص) فحسب .

سيلفانا :

ـ إننى فى طريقى للقاء خطيبى فى (القاهرة) .

رفعت :

ـ أهو مصرىّ أم يقيم هناك فحسب ؟

سيلفانا :

ـ إنه مهندس فرنسى ، يعمل فى إحدى المشروعات المشتركة ، بين الحكومتين المصريّة والفرنسيّة ... ولقد قررنا أن نلتقى فى (القاهرة) ، لنقضى هناك بضعة أيام ، ثم نسافر

معًا إلى (فرنسا) ، لنعقد قراننا هناك ، حيث أسرتانا .

قال مبتسمًا ، وهو يتطلّع إلى جمالها الفتان :

ـ أعتقد أنه محظوظ للغاية .

ابتسمت ، وهي تسأله :

ـ وماذا عنك ؟... ما عملك بالضبط ؟

رفعت :

ـ إنه يتّصل بالأمن .

سيلڤانا :

ـ أأنت ضابط ؟

رفعت :

ـ نعم .

سيلڤانا :

ـ لن تعانى من التعقيدات الجمركية إذن ... يقولون إنها عنيفة فى موطنك .

رفعت :

ـ إنها شائعات فحسب .. موطنى يرحب بالضيوف دومًا ، وإجراءاتنا الجمركية لا تختلف عن مثيلاتها ، فى معظم دول العالم ، ولا يعانى من التعقيدات سوى المهربين فقط ، والخارجين على القانون .

سيلڤانا :

ـ ولكن منصبك يتيح لك بعض الاستثناءات حتمًا .

غمغم فى تردُّد :

ـ إلى حدٍّ ما .

انهمكا فى الحديث ، حتى بلغت الطائرة (القاهرة) ، وعندما غادراها ، كان خلفهما رجل ..

وكان هذا الرجل هو عميل مخابرات (لوتشيا) ... (چيدو) ...

* * *



٢ ـ حادث مفاجئ..

مدّ (رفعت) يده بجواز السفر ، إلى ضابط الجوازات المختصّ ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ صباح الخير .

ابتسم ضابط الجوازات ، وهو يتناول جواز السفر ، قائلًا :

ـ أرجو أن تكون قد قضيت وقتًا ممتعًا فى (قبرص) ياسيادة الرائد .

أجابه (رفعت) مبتسمًا :

ـ شكرًا يا (نبيل) ، كانت رحلة ممتعة بحقّ .

ختم الضابط جواز السفر ، وأعاده إليه ، فشكره (رفعت) مرّة أخرى ، وتوقّف يبحث عن (سيلفانا) بضع لحظات ، ولكنها اختفت كما لو أنها قد تلاشت كالسحر ، فاتجه إلى الدائرة الجمركية ، حيث استقبله مأمورها بالتّرحاب ، وهو يقول بدوره :

ـ رحلة سعيدة ياسيادة الرائد .

رفعت :

ـ اشكرك يا (صبرى) ... ألن تلقى نظرة على حقائبى ؟

ضحك مأمور الجمرك ، وهو يقول :

ـ هذا يخالف التعليمات كما تعلم يا (رفعت) ، فمن المحظور فتح حقائب المخابرات والعمليّات الخاصّة ، ما لم ترد تعليمات بعكس ذلك ، وأنا رجل ملتزم كما تعلم .

صافحه (رفعت) ، وانصرف مغادرًا الدائرة الجمركية ، وهو يحمل حقيبته الزرقاء ، دون أن يدرى شيئًا عن محتوياتها السّرّيّة ، وعند وصوله إلى صالة الانتظار ، كانت عينا (جيدو) تتابعانه فى قلق وتوتُّر ، وهو يتعجّل مأمور الجمرك ، لإنهاء إجراءاته ، حتى لا يفقد أثر (رفعت) ... ولم يكد المأمور ينتهى ، حتى دفع (جيدو) أشياءه داخل حقيبته الزرقاء بلا انتظام ، وأسرع نحو (رفعت) ، وهو يحمل فى الواقع حقيبته الشبيهة بحقيبة الأموال ...

وفى الوقت نفسه ، كان (رفعت) قد لمح (سيلفانا) ، وهى تتلفّت حولها فى قلق وحَيْرة ، فاتجه إليها ، ووضع حقيبته إلى جوار حقيبتها ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ ألَمْ يأتِ خطيبك ؟

قالت وهى تحمل أمارات الانزعاج فى ملامحها :

— كان ينبغى أن يكون هنا منذ ساعة على الأقل ... أخشى أن يكون قد أصابه مكروه ما .

قال (رفعت) بابتسامة مطمئنة :

— لا داعى لكل هذا القلق ... ربّما اضطر للتخلّف لسبب طارئ ... أتحملين عنوانه ، أو رقم هاتفه ؟

سيلفانا :

— المشكلة هى أنه قد انتقل من عنوانه منذ أسبوع واحد ، ولست أعرف عنوانه الجديد .. كنت أعتمد فقط على حضوره لاستقبالى فى المطار .

أجابها (رفعت) ، وهو يشعر بالأسف لأجلها :

— كنت أتمنّى مساعدتك ، ولكننى مرتبط بموعد مع صديق ينتظر فى خارج المطار ، ولكن ها هى ذى بطاقتى الخاصّة ، يمكنك الاتصال بى فى هذا العنوان ، أو فى رقم الهاتف المدوّن بها ، وسأبذل أقصى جهدى لمعاونتك ، والبحث عن خطيبك .

التقطت البطاقة ، وهى تغمغم فى ارتباك :

— أشكرك على هذا الشعور الطيّب ، ولكن ألا يمكنك أن تبقى معى بعض الوقت ؟... إننى أشعر بارتباك حقيقى .

همّ بأن ينطق شيئًا ما ، إلّا أن ملامحها تبدّلت فجأة ، وتهلّلت أساريرها ، وهى تلقى ببصرها إلى جهة بعيدة ، قبل أن تلوّح بكفّها فى لهفة وسعادة ، فالتفت (رفعت) إلى حيث تنظر ، ورأى شابًا وسيمًا ، ممشوق القوام ، يندفع إليها ، وابتسامته تملأ وجهه ، قبل أن يحتويها بين ذراعيه ، هاتفًا :

— سيلفانا !

هتفت (سيلفانا) فى سعادة ، وهى تلقى نفسها بين ذراعيه :

— (أندريه) !.. كم أقلقنى تأخّرك !

قال ، وهو يلتقط حقيبتها فى لهفة :

— معذرة ياحبيبتى ... لقد تعطّلت سيارتى فى الطريق .

قدّمت (سيلفانا) له (رفعت) ، قائلة :

— أقدّم لك مسيو (رفعت) ... لقد أراد معاونتى ، عندما رأى كل ما يملأ نفسى من قلق وانزعاج ، عندما تأخّرت أنت ، ولقد ترك هذا فى نفسى أثرًا طيّبًا عن المصريين .

صافحه (أندريه) مبتسمًا ، وهو يقول :

— إننى سعيد بمقابلتك يامسيو (رفعت) .

شدّ (رفعت) على يده ، قائلًا .

— وأنا أيضًا ... لقد أخبرتنى (سيلفانا) عن قرب زفافكما ... أتمنى لكما زواجًا سعيدًا ، يدوم أبدًا .

غمغم الفرنسى ممتنًا :

— شكرًا يا سيِّدى .

تابعها (رفعت) ببصره ، وهما ينصرفان ، وقد أحاط (أندريه) وسط (سيلفانا) بذراعه فى حُبٍّ ، والسعادة تظلِّل ملامحهما ، وأعاد إليه المشهد ذكرى الفتاة التى أحبها ، والتى كان يهمُّ بالزواج منها ، لولا أن اختطفها منه حادث سيارة ، فوق جبل المقطم ، فاكتست عيناه بنظرة حزينة ، لم يلبث أن نفضها عن نفسه ، قائلًا :

— من حسن الحظ أننى أعمل بإدارة العمليات الخاصَّة ، حيث لا وقت للأحزان .

قالها وخرج يقف أمام المطار ، ووضع حقيبته أرضًا ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، مغمغمًا :

— لماذا لم يصل (ممدوح) حتى الآن ؟... لقد أخبرنى أنه سيصل فى العاشرة ، وها هى ذى العاشرة والربع ، ولم يصل بعد ، وعهدى به دقيق فى مواعيده .

فى تلك اللحظة كان (چيدو) يقترب منه ، حاملًا عدَّة

حقائب ، بينما حقيبته هو الأصلية ، وبين شفتيه سيجارة غير مشتعلة ، وتوقَّف أمامه مباشرة ، وهو يقول :

— معذرة ... أأجد لديك ما أشعل به سيجارتى ؟

التقط (رفعت) قدَّاحته فى بساطة ، ولكن (چيدو) نفخ السيجارة المزيفة فى حذق ، فانطلقت منها قذيفة صغيرة ، أشبه بالدبوس ، وانغرست فى عنق (رفعت) ، الذى مادت به الأرض ، وسقط فاقد الوعى كالحجر ، مما أثار دهشة المارَّة ، فاقتربوا فى جَزَع ، وهم يتساءلون عما حدث ، فانحنى (چيدو) متظاهرًا بفحص (رفعت) ، وانتزع تلك القذيفة الدقيقة من عنقه ، حتى لا يلحظها أحد ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (ممدوح) ، وراح يشق طريقه وسط الزحام ، وقد أدرك بغريزته أن هذا الجمع يلتف حول زميله حتمًا ، ولم يكد يصل إليه ، ويتأكَّد من أنه على حقّ ، حتى انحنى يفحص نبضه فى اهتمام ، وهو يهتف :

— ماذا حدث ؟

اقترب منه أحد رجال الشرطة ، وقال فى خشونة :

— اترك لنا هذا الأمر .

أبرز (ممدوح) بطاقته الخاصَّة فى وجه الشرطى ، الذى



ولكن (جيدو) نفخ السيجارة المزيفة فى حذق ، فانطلقت منها قذيفة صغيرة ، أشبه بالدبوس ، وانغرست فى عنق (رفعت) ..

تبدلت قسماته على الفور ، وذهبت خشونته ، ليحل محلها احترام بالغ ، و (ممدوح) يقول فى لهجة آمرة :

— هذا الرجل صديقى ، وأحب أن أعرف ما أصابه بمنتهى الدقة .

أسرع (چيدو) يجيبه :

— لقد سألته إشعال سيجارتى ، ولم يكد يُخرج قدّاحته ، حتى أصابته نوبة إغماء مفاجئة .

انتفض رأس (رفعت) فى اللحظة ذاتها ، وفتح عينيه فى ضعف ، مغمغمًا :

— ماذا حدث ؟.. أأنت (ممدوح) ؟!.. كم مضى علىّ فاقد الوعى ؟

غمغم (ممدوح) :

— ثلاث دقائق فحسب ، وهذا السيّد يقول إنك فقدت الوعى بغتة .

أمسك ساعده ، يعاونه على النهوض ، و (رفعت) يغمغم :

— يبدو أن هذا ما حدث بالفعل .

ناوله (چيدو) حقيبته الأصلية ، واستعاد الأخرى التى تحوى المال ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله أنك بخير ... هذه حقيبتك ... أليس كذلك ؟

تناول (رفعت) الحقيبة ، قائلًا :

ـ بلى ... شكرًا لك ... يؤسفنى ما حدث .

تمتم (چيدو) مبتسمًا :

ـ لا عليك ... قد أقلع عن التدخين بعد ذلك .

قالها وتناول حقيبة المال ، وسط الحقائب الأخرى ، واختفى بين الناس ، فى حين سأل الشرطى :

ـ أيمكننى تقديم المعاونة ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو يتأبّط ذراع صديقه ، ويتجه به إلى سيارته :

ـ شكرًا الأمر لا يستحق ..

ثم التفت إلى (رفعت) ، مستطردًا :

ـ والآن .. هلّا أخبرتنى بما حدث تفصيليًا ، إنك لم تصب بإغماء مفاجئ قط .

غمغم (رفعت) فى إعياء :

ـ الأمر يبدو لى أيضًا محيّرًا .. لقد شعرت بألم مفاجئ فى الجانب الأيسر من عنقى ، وقبل أن أرفع أصابعى إلى موضع الألم ، سقطت فاقد الوعى .

تناول منه (ممدوح) الحقيبة ، ودفعها فى مقعد السيارة الخلفى ، وعاونه على الجلوس فى المقعد الأمامى ، ثم جلس هو خلف عجلة القيادة ، وهو يفكر فيما قاله صديقه ، قبل أن يقول :

ـ أقترح أن نذهب إلى الإدارة ، قبل ذهابك إلى شقتك .. فمن الأفضل أن يتم عرضك على طبيبنا الخاص ، لاستكشاف طبيعة الأمر .. ففى عملنا لا يمكننا أن ننظر إلى الأمور فى بساطة ، مثلما يفعل معظم الناس .

وتنهّد فى عمق ، ثم أردف :

ـ لسوء حظنا .

وانطلق بالسيارة إلى إدارة العمليّات الخاصّة ..

* * *

٣ ـ زيـارة مفـاجئة ..

شعر (رفعت) بحاجته الماسّة إلى الراحة ، عند عودته إلى منزله فى المساء ، بعد أن قضى يومه ما بين السفر ، والحادث الغريب فى المطار ، والتحليلات الطبيّة ، وحصار الأسئلة والاستفسارات فى الإدارة ، فأخذ يعد لنفسه حمّامًا دافئًا ، ويمنيها بنوم «هادىء» فى فراشه الوثير .. ولكنه لم يكد يفتح حقيبته ، حتى تبخّرت تلك الأمنية ، وغيرها من الأمنيات من رأسه ..

لقد كانت الحقيبة تحوى ملابس أخرى ، بخلاف تلك التى عاد بها من (قبرص) ، إلى جانب انه قد انتبه بغتة إلى أن شقته ليست كعهده بها ، وأنّ يدًا قد عبثت بمحتوياتها ، وبعثرت صوان ملابسه الخاصّ ..

وقبل أن يتخذ (رفعت) أيّة خطوة ، أتاه صوت من خلفه ، جعله يلتفت فى حركة حادّة ، فوجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام (چيدو) ، الذى يصوّب إليه مسدّسه ، قائلًا :

ـ معذرة أيها الرائد .. كنت أتمنّى ألّا نلتقى قط ، بعد حادث المطار ، ولكن يبدو أنك تصرّ على لقاء آخر

هتف (رفعت) فى غضب ودهشة :

ـ لقد تذكرت الآن .. عندما طلبت منّى إشعال سيجارتك ، انطلق وميض من مقدمتها ، وبعدها شعرت بالألم ، وفقدت الوعى .. اللّعنة !!.. كانت قذيفة مخدّر .. أليس كذلك ؟

تمتم (چيدو) فى برود :

ـ بلى .. لقد استبدلت أيضًا حقيبتك اللّعينة فى قبرص ، بحقيبة أخرى مشابهة ، واستعدت حقيبتى منك فى مطار (القاهرة) ، بعد أن فقدت وعيك ، ولكنها لم تكن تحوى ذلك المال فى داخلها .. أين هو إذن ؟

هتف (رفعت) بمزيد من الدهشة :

ـ أى مال هذا ؟

هتف (چيدو) فى غضب :

ـ لا تضيّع الوقت فى المهاترات .. إننى أعرف جيّدًا من أنت .. هيّا افتح تلك الحقيبة فوق فراشك .

فتح (رفعت) حقيبته الزرقاء ، وأخرج كل محتوياتها ، ثم تراجع بناءً على أوامر (چيدو) ، الذى اقترب من الحقيبة ، وهو يصوّب إليه مسدّسه ، وراح يفحصها فى خفة ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـــ لا توجد جيوب سرِّيَّة ... لم يحدث أى خطإ .

ثم التفت إلى (رفعت) ، هاتفًا فى غضب :

ـــ أين الحقيبة الأصلية ؟... أجب أو أقتلك .

أجابه (رفعت) فى هدوء :

ـــ لو أنك تصرُّ ، فهاهى ذى هناك ..

وأشار بيده إلى طرف سريره ، مما دفع (چيدو) إلى أن يلتفت إلى حيث أشار فى لهفة ، ومنح (رفعت) لحظة واحدة ، أجاد استغلالها بطبيعة الحال ، وبطبيعة عمله فى إدارة العمليات الخاصة ، فانقضَّ على (چيدو) ، الذى انتبه إلى الخُدْعَة متأخرًا ، فأدار فُوَّهَة مسدَّسه مرَّة أخرى إلى (رفعت) ، الذى أمسك معصمه ، ورفع يده بالمسدس إلى أعلى ، فركله (چيدو) فى معدته ركلة قويَّة ، احتملها (رفعت) فى بسالة ، وهو يلوى ذراع خصمه خلف ظهره ، ويجبره على ترك مسدَّسه ..

ولكن (چيدو) لم يكن ممن يستسلمون فى سهولة ..

لقد كان محترفًا ..

ولقد دار على عَقِبَيْه فى مهَارَة ، وغاص بمرفقه فى صدر (رفعت) ، فدفعه إلى الخلف ، ثم هوى على فكِّه بلكمة قويَّة ،

وأعقبها بأخرى ، تفاداها (رفعت) فى خِفَّة ، وكال لخصمه لكمة صاعقة ، وقفز محاولًا التقاط مسدَّسه ، ولكن (چيدو) عاجلة بركلة قويَّة ، دفعته إلى الحائط ، وعاد ينقضّ عليه من جديد ..

وفى نفس اللحظة ، كان (ممدوح) يوقف سيارته أمام منزل (رفعت) ، وقد عاد ليلتقى به ثانية ، بعد ساعة واحدة من فراقهما بالإدارة ، بعد أن أقلقه أن جاء تقرير المعمل الطبِّىّ مؤكِّدًا وجود آثار مخدر قوىّ فى دماء (رفعت) ، يرجع إليها سبب فقدانه الوعى ، مما جعل (ممدوح) يسترجع كل ما أخبره به (رفعت) فى المطار ، ويستنتج فى بساطة أن ذلك الرجل ، الذى أراد إشعال سيجارته ، كان يحمل واحدة من قاذفات المخدرات ، التى يملكون مثلها فى الإدارة ، والتى تشبه السيجارة فى مظهرها ، ولكنه كان يتساءل ، وهو يصعد إلى حيث يقيم زميله ، وحتى وهو يتوقَّف أمام باب شقته ، عن السبب الذى دفع ذلك المجهول إلى تخدير (رفعت) ..

وفجأة .. تناهت إلى مسامعه الحسَّاسة أصوات العراك داخل شقة (رفعت) ، فأسرع يفتح بابها بوسيلة خاصَّة ، لقَّنوه إيَّاها فى الإدارة ، واندفع إلى الداخل ، ليجد زميله مُلْقَى

أرضًا ، والدماء تنزف من وجهه ، وخصمه (چيدو) ينحنى لالتقاط مسدسه ، وقد أنهكه الصراع مع (رفعت) ..

ووثب (ممدوح) نحو (چيدو) ، وأحاط وسطه بذراعيه ، وتدحرج الاثنان أرضًا ، وهما يتقاتلان فى شراسة ، حتى أنهى (ممدوح) القتال بلكمة كالقنبلة فى فك خصمه ، أفقدته الوعى ، ثم أسرع يلتقط المسدس ، ويدسه فى جيبه ، ويسرع نحو زميله ، فيمسح الدماء عن وجهه ، مغمغمًا :

ــ يبدو أن الأمر ليس بالخطورة التى تصورتها .. قل لى : أليس هذا هو رجل المطار ؟

هز (رفعت) رأسه إيجابًا ، وهو ينهض فى إعياء ، فاستطرد (ممدوح) :

ــ هناك علاقة بينه وبين ذلك المخدر ، الذى وجدته التحليلات فى دمك إذن ؟

قبل أن يجيب (رفعت) ، كان (چيدو) قد استعاد وعيه ، وقفز واقفًا على قدميه ، واندفع يعدو نحو الشرفة ، فاندفع (ممدوح) خلفه ، ولكن (چيدو) قفز متعلقًا بحبل يتدلى من سطح المنزل ، كان من الواضح أنه قد استخدمه لدخول الشقة ، فقفز (ممدوح) يتعلق به بدوره ، إلا أن

(چيدو) كان يتسلق الحبل فى سرعة وخفة قرد مدرب ، ولم يكد يصل إلى السطح ، حتى انتزع الخطاف الذى يثبت الحبل ، وألقى به هاتفًا :

ــ الوداع أيها المصرى .. الوداع ..

ووجد (ممدوح) نفسه يهوى من حالق ...

* * *

فى محاولة يائسة ، منحتها العناية الإلهية قوة المعجزات ، مد (ممدوح) يده فى اللحظة الأخيرة ، وتعلق بحاجز شرفة (رفعت) ، وتشبث به فى قوة مستعيدًا توازنه ، فيما كان (چيدو) يعدو مبتعدًا ، قافزًا من سطح إلى آخر ، حتى اختفى تمامًا .

وعندما صعد (ممدوح) إلى الشرفة ، كان يعلم أن الأوان قد فات ...

وأنهم قد خسروا جولة مع خصمهم ..

وكان الخصم نفسه .. بل والمباراة كلها مجرد مجهول .. مجهول مخيف ..

* * *



ولم يكد يصل إلى السطح ، حتى انتزع الخُطَّاف الذى يثبت الحبل ، وألقى به هاتفًا : ــ الوداع أيها المصرىَ ..

٤ ــ الحقيبة المفقودة ..

ألقى (چيدو) جسده فى إعياء ، فوق فراشه بفندقه ، وهو يشعر بالحَنَق لما حدث ، ويتحسَّس فى سَخَط تلك الكدمات والجروح ، التى سبَّبتها له لكمات (رفعت) و (ممدوح) ، وإن شعر بأن الأمر قد انتهى إلى نتيجة معقولة على أيَّة حال ، إذ كان من الممكن أن يصيبه ما هو أسوأ ، لو لحق به (ممدوح) ..

قبل أن يَهنأ بتلك النتيجة المتعادلة ، التى انتهى إليها تفكيره ، أضيئت حجرته بغتة ، فقفز من فراشه فى تحفُّز ، وتطلَّع فى توتُّر إلى رجل قصير ، عريض المنكبين ، كثّ الشارب ، جلس على المقعد المواجه للفراش ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، ويَحدِجه بنظرة ثابتة ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك فى (القاهرة) يا (چيدو) ... لقد تأخَّرت فى الحضور إلينا طويلًا ، فرأينا أن نأتى نحن إليك .

نقَل (چيدو) بصره إلى رجل نحيل طويل ، أسمر البشرة ، يرتكز بكتفه على الجدار ، ويعبث بمسدَّس مزوَّد بكاتم للصوت ، على نحو يُوحى بأنه لن يتردَّد قطُّ فى استخدامه ، وسمع القصير يستطرد فى هدوء :

ـــ يمكنك أن تبقى مسترخيًا يا (چيدو) .. لا تقلق نفسك بواجبات الضيافة .. فلقد أتينا لتسلم ما يخصنا فحسب ، وليس لإزعاجك .

بدا على (چيدو) أنه يسترجع ملامح الرجل فى ذاكرته ، قبل أن يهتف :

ـــ أنت (چيسون) .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل بنفس الهدوء :

ـــ هذا صحيح .. وذلك الرجل هناك من أشرس رجالنا ، ويُدعى (أسدى) .. والآن .. هل أحضرت النقود ؟

تلعثم (چيدو) ، وهو يقول :

ـــ ليس بعد .. لقد طرأت بعض التعقيدات و .. وفُقِدَتْ النقود و .....

اعتدل (أسدى) فى مكانه على نحو حادٍّ ، وأحاطت أصابعه بمقبض المسدَّس فى قوة ، فى حين بقى القصير (چيسون) هادئًا ، وهو يقول :

ـــ عجبًا يا (چيدو) !.. لقد راقبك بعض رجالنا فى

المطار ، وأكَّدُوا أنك قد أتممت عملية استبدال الحقائب مع الرائد المصرىّ فى براعة !

أجابه (چيدو) فى توتُّر شديد :

ـــ لقد فعلت ، ولكن الحقيبة التى حصلت عليها منه ، لم تكن نفس الحقيبة التى أَوْدَعْنا فيها الملايين الخمسة .. لقد كانت حقيبة ثالثة مشابهة للأخريين .

وهنا تخلَّى (چيسون) عن هدوئه ، وهبَّ من مقعده هاتفًا فى غضب ، وهو يجذب إليه (چيدو) فى غلظة :

ـــ إذن فما أبلغتنا به مخابرات (لوتشيا) صحيح .. أنت أردت الاستيلاء على المبلغ لنفسك .

هتف (چيدو) ، وهو يختلس النظر إلى المسدَّس فى قبضة (أسدى) :

ـــ لم أفعل .. أُقسم لك إن هذا غير صحيح .

تضاعفت حِدَّة (چيسون) ، وهو يهتف :

ـــ كفى مراوغة أيها الوغد .. لقد عثر رجال مخابرات (لوتشيا) على تلك الرسالة ، التى أرسلتها لزوجتك فى (سويسرا) ، وحلُّوا تلك الشفرة ، التى اتفقت عليها مع زوجتك ، وأدركوا كل شىء .

شحب وجه (چيدو) ، وهو يقول :

ـــ الرّسالة ؟!.. ولكن !!..

قاطعه (چيسون) فى صرامة :

ـــ نعم .. تلك الرّسالة التى طلبت منها إرسالها ، فور وصولها إلى (سويسرا) ، ونجاحها فى الفرار من رقابة المخابرات اللوتشية ، والتى قلت لها فيها إنك تنوى الاستيلاء على النقود ، بعد أخذها من الرائد المصرىّ ، والهرب بها إلى (سويسرا) ، حيث تقضيان ما بقى من أيامكما هناك .

چيدو :

ـــ ليس هذا صحيحًا .. إنه ...

تراجع (چيسون) خطوة إلى الوراء ، دون أن يُفلت ياقة (چيدو) ، ثم هوَى بقبضته على فكّ هذا الأخير ، بكل ما يملك من قوّة ، وجاءت قبضته فى موضع إحدى كدمات (چيدو) ، فأطلق صرخة ألم قوية ، وهتف وهو يرى أن (چيسون) يستعد لإعادة الكرّة :

ـــ لا .. لا .. سأعترف بكل شىء .. لقد كنت أنوى الاستيلاء على النقود بالفعل ، والفرار بها إلى الخارج .. ولقد دبرت الأمر مع زوجتى ، لتقوم بتنفيذ ذلك ، بعد أن يتجاوز

المصرىّ الدائرة الجمركية ، بمعاونة وسيط ثالث ، يتصل بالبنوك السويسرية بصلات جيّدة .. ولكن الحقيبة التى أخذتها من الرائد المصرىّ ، كانت خالية .. لم تكن تشبه تلك التى أودعناها النقود ، سوى فى الشكل الظاهرىّ واللون الأزرق فحسب ، ولكنها كانت خالية تمامًا .. صدّقنى يا (چيسون) لقد ذهبت إلى شقة ذلك الرائد ، وفتشت كل ركن فيها ، فلم أجد أدنى أثر للحقيبة أو النقود ، ولست أدرى كيف اختفت تلك اللّعينة .

انتزع (چيسون) مُديته من غِمدها ، ولامس بها عنق (چيدو) ، قائلًا فى خشونة :

ـــ أتنتظر منى أن أصدّق تلك القصة أيها الخائن ؟

هتف (چيدو) فى هَلَع ، وَنصْل المُدْية يغوص فى عنقه :

ـــ أقسم لك إنها الحقيقة .. فتّش حجرتى كلها ، ولن تجد دولارًا واحدًا .

صاح (چيسون) غاضبًا :

ـــ أتظننى لم أفعل ؟.. إنك لست من الغباء ، بحيث تخفى مبلغًا هكذا هنا .. ولتعلم أننى أحمل تفويضًا كاملًا بقتلك ، من مخابرات (لوتشيا) ، وما كنت لأتردّدُ فى قتلك دونه ، ما لم تعترف بمكان النقود .

هتف (چيدو) :

ــ أقسم لك إننى أجهل مكانها .. الرائد المصرىّ وحده يدرك أين ..

هَوَتْ قبضة مسدَّس (أسدى) على مؤخرة عنقه ، فى تلك اللحظة ، فسقط فاقد الوعى ، و (چيسون) يقول :

ــ سنعرف كيف نجد المال بدونك أيُّها الوغد .. اسمع يا (أسدى) .. سيبقى ذلك الوغد رهينة لدينا ، حتى تستعيد النقود .. أتعلم ماذا ينبغى عليك عمله ؟

أجابه (أسدى) :

ــ نعم .. سآتى بسيارة الإسعاف الزائفة مع (صخرى) ، ونحمل هذا الوغد ، بتصريح مزيَّف من شقيقه الوهمىّ .

قال (چيسون) :

ــ عظيم .. وسألحق بكما فور انتهائى من اجتماعى مع القائد ، وتحديد ما سنفعله ، مع ذلك الرائد المصرىّ .

لم تمض نصف الساعة ، حتى كانت الخطَّة تُنفَّذ بحذافيرها ، وكان روَّاد الفندق يتطلَّعون فى إشفاق إلى رجلى الإسعاف الزائفين ، اللذين هبطا يحملان جسد (چيدو) على محفَّتهما ،

وانطلقا به فى سيارة إسعاف زائفة ، فيما عدا شخصًا واحدًا ، كان يراقب المشهد فى دِقَّةٍ وعناية ، وآلة تصوير دقيقة فى قداحته تلتقطه فى إحكام ، وبكل التفاصيل ...

وكان هذا الرجل يُدعى (ممدوح) ...

(ممدوح عبد الوهاب) ...

* * *



٥ ــ السؤال الغامض ..

انطلق (ممدوح) بسيارته ، يطارد سيارة الإسعاف الزائفة ، متتبعًا أثرها فى دِقَّة ، غير عابئ بإشارات وقواعد المرور ، دون أن ينتبه إلى وجود سيارة أخرى سوداء ، تطارد سيارة الإسعاف الزائفة مثله تمامًا ، حتى بلغت المطاردة ذلك الطريق ، المؤدّى إلى مرتفع جبل المقطم ... وعندئذ تطلّع (أسدى) إلى مرآة سيارته الجانبية ، وقال فى قلق :

ــ هناك سيارة صفراء تتبعنا .

أجابه (صخرى) ، وهو يقود السيّارة :

ــ لقد لاحظت ذلك ، منذ غادرنا الفندق .

أسدى :

ــ أظن أنه لا مجال للمخاطرة ... فلنتخلّص من هذا المطارد السخيف .

ثم التقط بُوق اللاسلكى ، وقال :

ــ (شارك) ... هل تسمعنى ؟

أجابه أحد رجلين ، فى السيّارة السوداء :

ــ نعم ... أهناك عقبات ؟

أسدى :

ــ يبدو أن تلك السيارة الصفراء أمامك تتعقّبنا .

شارك :

ــ لقد لاحظت ذلك ... واصل طريقك ، وسأخلّصك منها ، ومن سائقها .

واندفعت السيّارة السوداء ، متجاوزة السيّارات الأخرى ، التى تفصلها عن سيارة (ممدوح) ، حتى حاذتها تمامًا ، ومدَّ (شارك) يده من النافذة ، وثبّت شيئًا ما بسيّارة (ممدوح) ، ثم أسرع يبتعد بسيّارته ...

ولمح (ممدوح) ما حدث ، فى مرآة سيّارته ، وأدرك على الفور أن هذا يَعْنِى خطرًا ما ، فضغط كمّاحة سيارته فى قوّة ، وقفز خارجها ، وانطلق يعدُو مبتعدًا ، و ...

ودوّى الانفجار ...

* * *

ابتعدت سيّارة الإسعاف فى سرعة ، مستغلّة ذلك التوتّر ، الذى أصاب (ممدوح) ، بعد أن اضطر لمغادرة السيّارة ، وهو يعلم أنها الوسيلة الوحيدة السريعة ، لتفادى ذلك اللّغم



ولقد نهض محنقًا ، على الرغم من نجاته من الانفجار ، الذى أطاح بسيَّارته ، وغمغم : ــ لقد أفلت الأوغاد ..

المغناطيسى ، الذى ألصقه (شارك) بسيَّارته ، ولقد نهض محنقًا ، على الرغم من نجاته من الانفجار ، الذى أطاح بسيَّارته ، وغمغم :

ــ لقد أفلت الأوغاد .

ثم أضاف فى حسم :

ــ ويبدو أن الأمر أخطر مما كنَّا نتوقَّع ... أخطر كثيرًا .

* * *

طرق (ممدوح) باب حجرة رئيسه اللواء (مراد) ، ثم دَلَفَ إليها ، وتطلَّع إلى رئيسه الذى يجلس خلف مكتبه ، وأمامه (رفعت) ، ودعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس ، إلى جوار (رفعت) ، وقال :

ــ على الرغم من إفلات السيَّارة ، إلَّا أن تلك الصور ، التى التقطتها قدَّاحتك ، كانت ذات فائدة عظيمة لنا .. إذ أمكننا بواسطتها تعرُّف هويَّة المختطفين .

ودفع الصور إلى (ممدوح) ، مستطردًا :

ــ ذو الشَّارب الكثّ هو (چيسون) ، وهو أحد أفراد تنظيم إرهابى خطير يعمل لحساب دولة (لوتشيا) المعادية ، ويستهدف إثارة القلاقل والاضطرابات داخل (مصر) ، عن

طريق تنفيذ بعض المخطَّطات الإرهابية ... ولقد هرب من هنا منذ عدَّة سنوات ، ولكنه عاد ليواصل عملياته القذرة ... أما الطويل ، فهو (أسدى) .. مهرِّب مخدرات ، ألقى القبض عليه منذ عشر سنوات ، وسجن هنا ، وأفرج عنه منذ عام واحد فقط ... وقد يشير هذا إلى وجود صلة مباشرة ، ما بين ذلك التنظيم الإرهابىّ ، الذى يتزعَّمه شخص يطلقون عليه اسم (القائد) ، وتجارة وتهريب المخدِّرات .

قال (ممدوح) فى اهتمام :

ـــ بقى ذلك الذى اعتدى على (رفعت) .

أجابه (رفعت) .

ـــ تقول إدارة الجوازات إنه يُدعى (روسوس) ، وأنه قبرصىّ الجنسيَّة .

أضاف اللواء (مراد) :

ـــ ليس هذا صحيحًا بالقطع ، فتحرِّياتنا فى (قبرص) أثبتت أن الجواز زائف ، وأنه لم يصدر هناك بصفة رسمية ، وفى نفس الوقت تؤكِّد معلوماتنا أن نائب رئيس المخابرات اللوتشية (رماحى) ، قد تواجد فى (قبرص) منذ أيام ، وأنه كان فى المطار ، عند إقلاع طائرة (رفعت) ، وهى تحمل ذلك

الرجل ، والأرجح ـــ طبقًا لذلك ـــ أنه أحد عملاء مخابرات (لوتشيا) .

رفعت :

ـــ لقد سألنى عن حقيبة تحوى نقودًا ، وقال إنها تشبه حقيبتى ... وإن عملية استبدال الحقيبتين قد بدأت فى (نيقوسيا) ، وانتهت هنا ، ولكن حقيبة النقود اختفت بين المرحلتين .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد اعتمدوا على اجتيازك الدائرة الجمركية دون تفتيش ، نظرًا لطبيعة عملك ... ووضعوا خطتهم لاستبدال الحقائب خارج المطار ، عندما تقع تحت تأثير المخدِّر ... ولقد تم كل شىء كما خططوا له تمامًا ، فيما عدا أنهم قد فقدوا الحقيبة الأصلية .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ هل يمكنك الربط بين كل هذا ؟... تنظيم إرهابىّ ، وعميل لـ (لوتشيا) ، وحقيبة تحوى كمية ضخمة من النقود ، وعملية خطف للعميل ، بواسطة التنظيم ... هل يمكنك الربط ؟

صمت (ممدوح) برهة مفكرًا ، قبل أن يقول :

ــ أظن الصلة واضحة يا سيدى ، والقصة يمكن ترتيبها على النحو التالى : لقد وضعت مخابرات (لوتشيا) خطتها اعتمادًا على وجود (رفعت) فى قبرص ، واستغلوا طبيعة مهنته ، ومرور حقائبه بالجمارك بلا فحص ، لتهريب ذلك المال إلى تلك المنظمة الإرهابية ، التى تعمل لحسابهم هنا ... وكان دور عميلهم يقتصر على استعادة الحقيبة والنقود ، بعد اجتياز (رفعت) للدائرة الجمركية ، ومنحها لرجال المنظمة ، لاستخدامها فى تمويل عمليات شراء الأسلحة ... ولكن العميل فوجئ بأن الحقيبة قد اختفت ، فجن جنونه ، وراح يفتش شقة (رفعت) ، وهدده محاولًا إجباره على الاعتراف بموضع الحقيبة الأصلية ... ويبدو أن رجال المنظمة الإرهابية قد شعروا بالقلق بدورهم ، لعدم تسلمهم المبلغ ، ويبدو أيضًا أنهم قد ارتابوا فى عميل (لوتشيا) ، فاختطفوه ليبوح لهم بمكان النقود .

قال اللواء (مراد) فى إعجاب :

ــ هذا هو الترتيب المنطقى بالفعل ... أحسنت صنعًا بالاتصال بشرطتى السياحة والجوازات ، وبتحديد ملامح ذلك العميل ، بمعاونة (رفعت) ... إذ أفادنا ذلك فى التوصل إليه

فى سرعة ، مما أتاح لك التقاط الصور ، وتعقب سيارة الإسعاف الزائفة ... ولكننا مازلنا أمام ذلك السؤال الغامض : أين ذهبت حقيبة النقود الأصلية ؟

ممدوح :

ــ ربما تم الاستيلاء عليها فى (قبرص) ، قبيل سفر (رفعت) ، أو فى مطار (لارناكا) فى أثناء شحن الحقائب فى الطائرة !

اللواء (مراد) :

ــ ربما هذا أو ذاك ... فقد يكون هناك ، بين رجال مخابرات (لوتشيا) ، من يعمل لحساب نفسه ، فدبر للاستيلاء على الحقيبة ، وإبدالها بأخرى ، قبل السفر إلى (القاهرة) .

تألقت عينا (رفعت) بغتة ، كما لو أن خاطرًا قد قفز إلى عقله ، وطرق إصبعيه هاتفًا :

ــ هناك احتمال آخر .

حول (ممدوح) واللواء (مراد) اهتمامهما إليه ، وهما يهتفان فى آن واحد :

ــ ما هو ؟

رفعت :

ـ تلك الإيطالية الحسناء (سيلڤانا) .

اللواء (مراد) .

ـ من (سيلڤانا) هذه ؟

رفعت :

ـ إيطالية تعرَّفتها فى الطائرة ، وقابلتها فى مطار (القاهرة) ، وهى تنتظر خطيبها فى قلق ، وشاركتها انتظارها بعض الوقت ، حتى وصل خطيبها ، وانصرفا معًا ، بعد استقبال حارّ .

ممدوح :

ـ وما علاقة ذلك بالأمر ؟

رفعت :

ـ لقد كانت تحمل حقيبة مشابهة لحقيبتى ، وربما تم الاستبدال لحظة انصرافها مع خطيبها ... فلقد وضعت حقيبتى إلى جوار حقيبتها تلقائيًا .

ممدوح :

ـ أتقصد أن الاستبدال قد حدث عشوائيًا ؟

رفعت :

ـ لست أظن ذلك ... فلقد تعمَّدت الفتاة إجراء تعارف مفتعل بيننا فى الطائرة ؛ لتجذب انتباهى إليها فى المطار ... ولقد ألقت علىَّ عدة أسئلة مريبة ، حول عملى كضابط مصرى وإمكانية مرورى عَبْر الدائرة الجمركية ... ولقد جذبنى جمالها فى الواقع ، حتى أننى لم أنتبه إلى أننا نحمل حقيبتيْن متجانستيْن تمامًا .

أدار (ممدوح) عينيه إلى اللواء (مراد) ، وقال فى حسم :

ـ لقد توصَّلنا إذن إلى نصف اللُّغز ياسيِّدى ... لغز (الحقيبة الزرقاء) ...

* * *



٦ — عمليَّة شيطانيَّة ..

عندما وضع اللواء (مراد) خطَّته ، كانت تعتمد على شِقَّين أساسيَّين ، أولهما : أن يتم التوصُّل إلى وكر المنظَّمة الإرهابية ، وإلقاء القبض على زعيمها القائد ... وثانيهما : أن يتم العثور على الحقيبة المفقودة ، ومصادرة ما بها من أموال لصالح الدولة ... وكل ما يعتمد عليه الشِّق الأوَّل هو افتراض محدود ، بأن رجال المنظمة سيواصلون سعيهم خلف (رفعت) ، فى محاولة للعثور على الحقيبة ، بعد أن يستفذوا كل وسائلهم مع (جيدو) ، خاصَّة وأن الاحتمال الثانى ، بأن استبدال الحقيبة قد تم فى (القاهرة) ، هو الاحتمال الأرجح ...

وبناءً على ذلك ، تمَّ وضع (ممدوح) على رأس فريق الرجال ، من المكتب (١٩) ، مع أوامر تقتضى وضع (رفعت) تحت المراقبة ، طِيلة الأربع والعشرين ساعة يوميًّا ، واستخدام عدد من السيَّارات ، يتم تغييرها مع الوقت ، وكل يوم ، وبحيث تتصل كلها بوحدة تصوير تليفزيونى ، حتى يمكن تتبع سيارة الإرهابيِّين فور ظهورها ، دون أن تبدو المراقبة واضحة أو ملموسة ...

وعلى مدار يومين كاملين ، ومن داخل تلك السيَّارة ، التى اتخذها (ممدوح) لنفسه مسكنًا ومكتبًا ، وهو يراقب منزل (رفعت) ، لم يبدُ أدنى أثر لسيَّارة الإرهابيِّين ...

وفى اليوم الثالث ، توقَّفت سيَّارة من نوع (اللورى) ، متوسطة الحجم ، أمام مدخل إحدى البنايات المجاورة لمنزل (رفعت) ، وهبط منها ثلاثة أشخاص يحملون صندوقًا من الورق المقوَّى ، يحمل رسمًا لغسَّالة ملابس كهربائية ، وتظاهروا بالتعاون فى حمله إلى البناية ، فى حين غادر السائق السيَّارة ، واستند إلى مقدمتها ، وأشعل سيجارته ، وراح ينفث دُخانها ، وهو يراقب إحدى سيَّارات المكتب رقم (١٩) فى تراخ ...

وصعد الرجال الثلاثة حتى الطابق المقابل لذلك الذى يقيم فيه (رفعت) ، فى البناية المجاورة ، وتلفَّتوا حولهم فى حذر ، ثم طرق أحدهم باب الشَّقَّة ، وهو يشارك زميله فى إخفاء وجوههم بلثام من الصوف الثقيل ، لاتبدو منه سوى العيون .. وعندما فتح صاحب الشقة الباب ، أصابه الفزع ، ودفعه أحد الثلاثة إلى الداخل ، وهو يلصق فُوَّهة مسدَّسه برأسه ، ويحذره من النطق بكلمة واحدة ، فى نفس اللحظة التى

غادرت فيها زوجته حجرة جانبية ، فأصابها الرُّعب من المشهد ، وهمّت بالصراخ ، لولا أن أخرستها صفعة قويّة على وجهها ، وفُوّهة مسدّس التصقت بجبهتها ، فكتمت صرختها فى أعماقها ، وراحت تبكى فى انهيار ، وهى تتطلّع إلى الرجال الثلاثة فى رُعب هائل ...

وبسرعة .. أخرج أحد الرجال من الصندوق لوحًا معدنيًّا ، جذب من تجويف داخله لوحًا آخر ، أقل سمكًا ، بحيث أصبح الاثنان عبارة عن لوح واحد بطول ثلاثة أمتار ، وعرض متر واحد ، حمله مع زميله إلى المطبخ ، فى حين بقى الثالث يهدّد صاحب المنزل وزوجته .

وفى المطبخ تعاون الملثّمان على تثبيت حافّة اللوح المعدنىّ عند حافّة النافذة ، وأمالاه حتى أسندا طرفه الآخر عند حافّة نافذة مطبخ الرائد (رفعت) ، وأسرعا يزحفان فوقه ، حتى بلغا مطبخ (رفعت) ، وذلفا إلى منزله ، واقتحما عليه رَدْهَة المنزل ، وفاجآه وهو يتابع أحد البرامج التليفزيونية ، فهبّ من مقعده ليقاتلهما ، ولكنهما شهرا مسدّسيهما فى وجهه ، وهتف به أحدهما آمرًا :

ــ لقد جئنا لنصحبك معنا ، وأوامرنا تتضمّن عبارة « حيًّا

أو ميّتًا » ... فلا تبد أيّة مقاومة ، لو أردت أن تبقى حيًّا .

تطلّع (رفعت) إلى المسدّسين المزوّدين بكاتمى صوت ، وأدرك أنه لا فائدة من المقاومة فى وجودهما ، فلم يحاول أن يقاوم ذلك المنديل المشبّع بالكلوروفورم المخدّر ، الذى وضعه أحد الملثّمين فوق أنفه ، واستسلم تمامًا لتلك الغيبوبة ، التى أحاطت بعقله ، فحمله الرجلان ، وعادا يزحفان فوق اللوح المعدنىّ ، إلى النافذة المقابلة ، وهناك وضعا (رفعت) داخل الصندوق ، وخدّرا صاحب المنزل وزوجته ، ثم تخلّصا من أغطية الرأس الصوفية ، وحملا الصندوق إلى أسفل ، وانطلقا به داخل سيارتهم فى هدوء .

* * *

ضرب اللواء (مراد) سطح مكتبه بقبضته فى حَنَق ، وهو يهتف :

ــ كيف فعلوها ؟.. كيف أمكنهم اختطافه ، على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذناها ؟

غمغم الرائد (منير) ، محاولاً تهدئة ثورة رئيسه :

ــ لقد تمّت العملية من خلال المنزل المجاور ، ولقد نفّذنا

لخطة سيادتك حرفيًا ، ولم نترك ضابطًا معه ، حتى تسهل عملية الاختطاف ، وتم بحسب الخطة ، وأيًا ما كانت النتائج الآن ، فنحن لن نتخلى عن زميلنا (رفعت) ، وسننبش كل رقعة فى الكون ، لو اقتضى الأمر ، حتى نجده .

سمع الاثنان فى تلك اللحظة طرقات عند الباب ، ثم دخل (ممدوح) ، الذى بدا أكثر من فى الإدارة تماسكًا ، وهو يمسك عددًا من الأوراق ، قائلًا :

ـــ لقد تلقيت الآن تقريرًا هامًا من إدارة المخابرات ياسيدى ، عن طريق مكتب تبادل المعلومات ، أظنه سيفيدنا .

تراجع اللواء (مراد) بمقعده ، قائلًا فى اهتمام :

ـــ ماذا يقول ؟

ممدوح :

ـــ لقد توصل جهاز مخابراتنا ، عن طريق بعض عملائه فى (قبرص) ، إلى أن (رماحى) ، نائب رئيس مخابرات (لوتشيا) ، سيصل بنفسه إلى (القاهرة) متنكرًا ... على الطائرة التى تصل فى تمام الواحدة صباحًا .

التقط اللواء (مراد) التقرير فى اهتمام ، وهتف فى دهشة :

ـــ (رماحى) بنفسه ؟!.. كيف خاطرت مخابرات (لوتشيا) برجلها الثانى على هذا النحو ؟

ممدوح :

ـــ ربما بدا لهم الأمر بالغ الخطورة ، فأرسلوه لمتابعته بنفسه ، أو ليطمئن أفراد المنظمة الإرهابية إلى أنهم مازالوا يحظون بتأييد ومساندة (لوتشيا) ، وأيًا ما كان السبب ، فحضوره سيفيدنا كثيرًا ، وسيقودنا إلى الوكر السرى للتنظيم ، وهو المكان الذى يحتفظون فيه بـ (رفعت) حتمًا .

اللواء (مراد) :

ـــ أترى أنه من الأفضل أن نضع (رماحى) تحت المراقبة ، فور وصوله إلى (القاهرة) ، بدلًا من إصدار أمر باعتقاله ؟

ممدوح :

ـــ بل أفكر فى أمر آخر ، فمحترف مثل (رماحى) سيكشف أمر المراقبة منذ الوهلة الأولى ، وقد يدفعه كشفها إلى إلغاء العملية أو التمويه .

اللواء (مراد) :

ـــ ماذا لديك إذن ؟

صمت (ممدوح) لحظة ، ثم ابتسم فى هدوء ، قائلًا :

ـــ لدى خطة ...

ثم راح يشرح لهم خطته فى إحكام ...

* * *

٧ — وكر الذئاب ..

وصلت الطائرة القبرصيّة إلى مطار (القاهرة) ، فى تمام الواحدة صباحًا ، وعلى متنها رجل ممشوق القوام ، يبدو واضح القوّة والحيويّة ، على الرغم من شعره الأشيب ، وعمره الذى يناهز الخمسين ، وعندما غادر المطار ، كانت هناك سيّارة صفراء تنتظره ، وقد جلس النقيب (عدلى) داخلها ، إلى جوار السائق ... ولم يكد يلمح الرجل ، حتى أسرع إليه ، وقال فى صوت مرتفع :

— مسيو (فابيان) .

كان هذا الاسم الفرنسى ، الذى يحمله (رماحى) فى جواز سفره ، والذى يخفى به حقيقة شخصيّته ؛ لذا فقد تطلّع إلى (عدلى) فى دهشة ، مغمغمًا :

— من أنت ؟

لم يجبه (عدلى) على سؤاله ، وإنّما أخرج من جيبه قطعة نحاسيّة مستديرة ، نُقِشَتْ عليها نجمة زرقاء ، فتأمّلها (رماحى) فى حذر ، وهو يقول :

— أأوفدتك المنظّمة ؟

ولم يكد يلمح الرجل ، حتى أسرع إليه ، وقال فى صوت مرتفع :

— مسيو (فابيان) ..

النقيب (عدلى) :

ــ نعم .. ومهمّتى هى أن أنقلك إلى مقرّ القيادة .

رماحى :

ــ عجبًا !!.. كان اتفاقنا مختلفًا ، فأنا أحمل خريطة تقودنى إلى مقر القيادة ، ولم يخبرنى أحدهم أنه هناك من سيستقبلنى .

عدلى :

ــ إنه احتياط أمنىّ إضافىّ .

رماحى :

ــ حسنًا .. هيّا بنا .

دعاه (عدلى) لركوب السيّارة الصفراء ، التى انطلقت بهما مبتعدة عن المطار ، وعلى مسافة قريبة ، كان هناك شخص يراقب ما حدث فى عُدْوَانِيَّة ، وهو يتظاهر بمطالعة صحيفة ..

وكان هذا الرجل هو (چيسون) :

أمّا (رماحى) ، فقد شعر بالقلق ، بعد نصف ساعة من انطلاق السيّارة ، فراح يتلفّت حوله فى انزعاج ، ثم لم يلبث أن قال لـ (عدلى) :

ــ إلى أين نذهب .. ليس هذا طريق المقر الموضّح بالخريطة .

عدلى :

ــ لقد أبدلنا مقرّ القيادة ، حرصًا على السّرّيّة ؛ وهذا ما دعاهم لإرسالى إليك ، لأقودك إلى المقرّ السّرّىّ الجديد .

ولكنّ هذا التفسير لم يُقْنِع (رماحى) ، فقال فى عصبيّة :

ــ توقف هنا .. لقد عدلت عن الذهاب إلى المقر .. أخبر القائد أننى سأحدّد موعدًا آخر معه ، بعيدًا عن المقرّ .

تجاهل (عدلى) قوله تمامًا ، وضغط ذراعًا معدنيًّا إلى جواره ، فارتفع حاجزٌ زجاجىٌّ بين المقاعد الأماميّة ، والأريكة الخلفيّة فى السيّارة ، وأسدلت أستارٌ سوداء على زجاج النوافذ فى النصف الخلفىّ للسيّارة ، فى حين أرتجتْ أبوابها ، فعجز (رماحى) عن فتحها ، على الرغم من قوّته وعصبيّته ، حتى انطلق غاز من أسفل باب السيّارة الأيسر ، وتسلّل إلى أنف (رماحى) ، فتراخت قبضته ، ولم يلبث أن غاب عن الوعى ، فغمغم (عدلى) :

ــ لقد كنت فى حاجة إلى بعض الهدوء بالفعل يا رجل .

التفت إليه السّائق ، الذى لم يكن سوى الرائد (سمير) ، الذى قال لزميله :

ــ لقد كان بعضهم يحُومون داخل المطار متنكّرين ، ولكن أحدهم بدا لى مألوفًا .

أشعل (عدلى) سيجاره ، قائلًا :

ــ لابدَّ من المخاطرة ؛ لإنقاذ (رفعت) ، وتنفيذ خُطَّة (ممدوح) .

واصلت سيّارتهما سيْرَها لنصف ساعة ، حتّى توقفت عند الباب الخلفيّ لإدارة العمليات الخاصّة ، فقاما بنقل (رماحى) إلى الداخل ، إلى حجرة تضم (ممدوح) واللواء (مراد) ، وشخصًا آخر ، وأدّى (سمير) و (عدلى) التحيّة العسكريّة ، وقال الأوّل :

ــ لقد أحضرنا الطرد يا سيّدى .

اللواء (مراد) :

ــ لقد أدّيتما دَوْرَكُما كما ينبغى ، وحانَ دوره هو لِيُدْلِيَ لنا ببعض المعلومات ، عمّا يعرفه عن التنظيم ومقرّه .

التفت (ممدوح) إلى الرجل الذى يجاوره ، قائلًا :

ــ وعندئذ سيكون عليك أن تستخدم كل مواهبك ومهاراتك وقدراتك وخبرتك يا دكتور (عماد) ، لتحيلنى إلى هذا الرجل ... إلى نائب مدير مخابرات (لوتشيا) .

* * *

كانت المعلومات ، التى تمّ استخلاصها من (رماحى) ، شديدة الأهمّيّة ، ومفيدة لـ (ممدوح) وفريقه ، إذ علموا أن اجتماعات التنظيم تتم فى ڤيلا يملكها رجل أعمال سورىّ يُدعى (كنعان) ، وأنها تتمّ فى سرّيّة تامّة ، تحت ستار حفلات رجل الأعمال ، كما أخبرهم (رماحى) أن زعيم المنظمة إيرانىّ ، يُدعى (كسروان) ، متمرّس فى العمل الإرهابىّ ، وأنه يقود المنظمة من المخبإ السّرّىّ للڤيلا ، حيث يعيش منعزلًا عن العالم ، ويتصل بمخابرات (لوتشيا) بواسطة جهاز لاسلكى خاص ، أو عن طريق بعض العملاء ، الذين يتولّون أيضًا عمليّة التمويل ، والإمداد بالأسلحة والذخائر ، اللازمة لعمليّات المنظمة الإرهابيّة ...

وفى ذلك المساء ، عندما استقبلت الڤيلا مدعوّيها ، فى ملابس السّهْرة ، كان بينهم (ممدوح) ، الذى أصبح نسخة طبق الأصل من (رماحى) ، كما حضر الرائد (عدلى) ، الذى أمكنه أن يقنع إحدى المدعوّات باصطحابه ...

وعلى الرغم من الصّخب والموسيقى الحالمة ، التى أضفت على المكان فخامة خاصّة ، إلّا أن واقع الأمر كان يختلف كثيرًا ، فباستثناء بعض المدعوّين من غير ذوى الأهمّيّة ، الذين بقوا فى

رَدْهَة الفِيلّا ، و (كنعان) يجاملهم بعبارات منمّقة ، كان الباقون ينسحبون خلسة إلى حجرة مجاورة ، حيث يستقلّون مصعدًا سرّيًا فى أحد جدرانها ، إلى قاعة فسيحة أسفل الفيلّا ، تغصُّ بمجموعة أخرى من الرجال ، ومن هؤلاء الرجال كان (ممدوح) فى هيئة (رماحى) ، والجميع يعاملونه باحترام بالغ ، باعتباره نائب رئيس مخابرات (لوتشيا) حتى فُتحَ باب جانبىّ ، ودَلَف منه شخص متوسّط الطُّول ، عريض المنكبَيْن ، يرتدى منظارًا أسود ، وله لحية سوداء قصيرة ، لم يكد بصره يقع على (ممدوح) ، حتى اتّجه إليه ، وصافحه فى حرارة ، قائلًا :

— مرحبًا بك بيننا ياسيِّد (رماحى) .. كم أسعدنى حضورك شخصيًا لمقابلتى .

أجابه (ممدوح) :

— ولكننى كنت أظننا سنلتقى بمفردنا .

أجابه زعيم الإرهابيِّين ، المعروف باسم (القائد) :

— أيزعجك أن تلتقى بمن يعملون لحسابكم ؟

ممدوح :

— كنت أفضل أن نلتقى بمفردنا أوّلًا ، للتباحث فى شأن

التنظيم ، وتلك التطوُّرات الأخيرة فيه ، منذ أرسلنا إليكم عميلنا (چيدو) .

قال القائد مبتسمًا فى خبث :

— لِمَ لا نناقش صميم الموضوع مباشرة ؟

اعتدل (ممدوح) ، وقال فى صرامة :

— حسنًا .. بلغنى أنكم تحتجزون الخائن (چيدو) ، وأحد رجال المكتب رقم (١٩) ، وأنا أريد مشاهدتهما الآن .. وهذا ليس رجاء .. إنه أمر ..

ابتسم القائد فى دهاء ، وهو يقول :

— لا بأس ياسيِّدى ستشاهدهما .

وأشار بيده إشارة عابرة ، فأزاح (چيسون) ستارًا عن مِنصّة عالية ، تطل على القاعة ، ليكشف عن مقعدين معدنيَّين ، قُيِّد إليهما (رفعت) و (چيدو) ، بأساور معدنية فى معصميهما وقدميهما ، اتصلت بها أسلاك كهربائية ..

وكان هناك مقعد ثالث خالٍ ، والقائد يقول :

— هاهما ضيفانا .

حدَّق (چيدو) فى وجه (ممدوح) فى ذهول ، وهتف :

— هذا الرجل .. إنه .. إنه ...

قاطعه القائد فى حزم :

ـ أعلم يا (چيدو) .. أعلم ..

ثم التفت إلى (ممدوح) ، مستطردًا فى سخرية :

ـ أعلم أنه ليس (رماحى) ، بل هو جاسوس .. جاسوس من المكتب رقم (١٩) .

* * *



٨ ـ قاعة التعذيب ..

رانَ صمت رهيب على المكان ، واتجهت كل العيون إلى (ممدوح) ، الذى بدا ثابتًا ، والقائد يقول فى سخرية :

ـ أُهنئك على ذكائك أيُها الشاب .. حيلة رائعة وتنكُّر ممتاز ، ولكنَّ خطأك الوحيد ، أنت ومن تعمل باسمهم ؛ أنكم قد استهنتم بقدراتنا ، وتصوَّرتم أنكم قادرون على خداع منظَّمتنا ، التى أعياكم البحث فى التوصُّل إليها ، وإلقاء القبض على أفرادها .

قال (ممدوح) فى هدوء :

ـ لست أفهم ما تعنيه بتلك التمثيلية .

ضحك القائد ، قائلًا :

ـ ستفهمها مع رؤيتك لتلك التجربة الصغيرة .

ثم أشار إلى (چيسون) ، فضغط زرًّا صغيرًا ، فى ظهر مقعد (چيدو) ، الذى توهَّج بحرارة رهيبة ، التهب لها جسد (چيدو) ، فأطلق صرخة رُعب هائلة ، وراح يتلوَّى فى آلام مبرِّحة ، بدت لـ (ممدوح) فظيعة مذهلة ، حتى عاد القائد يشير إلى (چيسون) ، فعاد يضغط زرًّا آخر ، إلى جوار

الأول . فتلاشت الحرارة ، والقائد يقول لـ (ممدوح) :

ـــ لو انتظرنا دقيقة واحدة ، لشُوِىَ هذا الرجل حيًا حتى التفحم ، وهذا هو المصير نفسه ، الذى ينتظر صديقك ، ما لم يبح لنا بالمكان الذى أخفى فيه حقيبتنا .. ماذا لو نصحته ببعض التعقُّل ؟.. أنت تعلم أن النقود لا تساوى حياة شاب مثله .

قال (رفعت) فى وهن :

ـــ لقد أقسمت لك من قبل إننى أجهل مكان الحقيبة والنقود تمامًا .

قال القائد لـ (ممدوح) فى سخرية :

ـــ أرأيت كيف هو عنيد مكابر ؟.. ما رأيك ؟. أيمكن أن يضحِّى من أجلك ؟

ثم أشار إلى اثنين من رجاله ، مستطردًا :

ـــ دعُونا نختبر ذلك .

قبل أن يأتى (ممدوح) حركة واحدة ، أطبق عليه الرجلان من الخلف ، وشلَّا حركته تمامًا ، ودفعاه قسرًا إلى المقعد الثالث ، وكبَّلاه بالقيود المعدنيَّة ، المتصلة بالأسلاك الكهربية ، فهتف (رفعت) فى وهن :

ـــ لاجدوى من ذلك ، فكلانا يجهل كل شىء عن تلك النقود .

قال القائد فى قسوة :

ـــ ربَّما .. ولكنكم ، أيًا ما كان الأمر مصدر خطر علينا ، وأمننا يحتِّم التخلُّص منكما ، إن عاجلًا أو آجلًا .

وأشار إلى (چيسون) ، ليضغط زرَّ التشغيل الكهربىَّ للمقعد ، فتظاهر (ممدوح) بالهدوء ، وهو يقول :

ـــ حسنًا أيها القائد ، دعْنى أوجِّه لك الشكر ، قبل أن أغادر هذا العالم .. فلقد وفَّرت لى جهدًا كبيرًا ، كنت سأضطرُّ لبذله ، لو لم تجعلنى هدفًا للتجربة .. فأنا هنا فى مهمَّة انتحاريَّة ، ولقد أحضرت معى قنبلة حراريَّة تكفى لنسف المكان كله ، وأنا وصديقى لن نجد خيرًا من التضحية بحياتنا ، لتخليص العالم من شرورك وشرور منظَّمتك .. وعندما ترتفع حرارة ذلك المقعد ، لن أتحوَّل وحدى إلى جثة متفحِّمة ، بل سيكون هذا مصير الجميع .

بدا القلق على وجوه الجميع ، وأشار القائد إلى (چيسون) ؛ كيلا يضغط الزِّرَّ ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـــ أنت تكذب .

أجابه (ممدوح) فى ثقة ، ليطرق الحديد وهو ساخن :

ــ ليكن .. إننى أكذب ... مُرْ ذلك الوغد بإشعال النار فى جسدى .

ولكنَّ القائد غمغم فى تردُّد :

ــ فتّشوا ثيابه ، فلنَرَ ما إذا كان صادقًا أم لا .

ونجحت خُطَّة (ممدوح) ... لقد كان يحمل شيئًا يشبه القنبلة بالفعل ، ولكنه مجرَّد جهاز لاسلكىّ ، يبدأ فى إرسال إشاراته فور تحريكه .. ولقد عثر رجال القائد عليها بالفعل ، وقدّموها إلى قائدهم ، الذى راح يفحصها فى اهتمام وعناية ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

ــ ياللسخافة !!.. إنها ليست قنبلة ..إنها مجرَّد لُعبة .. لُعبة أراد بها إطالة حياته فحسب ..

وفى نفس اللحظة راح جهاز استقبال صغير يصدر إشاراته ، فى جيب (عدلى) ، مثيرًا دهشة الفتاة المصاحبة له ، فأسرع يعتذر إليها ، وينسحب من الحفل ، واقتحم تلك الحجرة الجانبيَّة ، وانتزع مسدَّسه من غِمْده ، وهو يقفز داخل المصْعد السِّرِّىّ ، ويهبط به إلى تلك القاعة ، ويقتحمها فى نفس اللحظة التى همَّ فيها (چيسون) بضغط زرّ تشغيل المقعد الكهربائىّ ، وهتف (عدلى) فى حزم :

ــ لا يتحرَّك أحد منكم أيُّها السَّادة .. وارفع يدك عن المقعد أيُّها الرجل ، وإلَّا أمطرتك بالرصاصات .

ضحك القائد فى سخرية ، قائلًا :

ــ يبدو أنَّ لدينا ضيوفًا آخرين أيها الزملاء .

قال (عدلى) فى صرامة :

ــ وسيكتظ بهم المكان بعد قليل ، فلقد تلقَّت قوَّة اقتحام فيلَتك الإشارة نفسها .

غمغم القائد فى دهشة :

ــ أيَّة إشارة ؟

أجابه (ممدوح) متهكِّمًا :

ــ أنت أرسلتها بنفسك ، وأنت تسخر من تلك اللُّعبة ، التى هى فى الواقع جهاز لاسلكىّ .

حاول أحد الإرهابيِّين أن ينتزع مسدَّسه خلسة ، ولكن رصاصة من مسدَّس (عدلى) اخترقت يده ، فهتف القائد فى غضب :

ــ أنت مجنون .. أتظنك ستقاتل عشرات الرجال بمسدَّس واحد ؟

أجابه (عدلى) فى حزم :

— فليبدأ أكثركم جنونًا فى مقاومتى ، ولْتَرَ من سينال الرصاصة التالية .

ثم التفت إلى (چيسون) ، مستطردًا فى صرامة :

— هيَّا ، حُلَّ قيود هؤلاء الرجال .

بدا التردُّد على (چيسون) ، فأضاف (عدلى) فى حدّة :

— سأمهلك ثلاث ثوان فحسب ، ثم أطلق رصاصة على رأسك ، وسأمنحك حقّ الاختيار .

لم يكد يتم عبارته ، حتى بدأ (چيسون) يحُلّ قيود (مدحت) و (رفعت) و (چيدو) ..

وفجأة .. ضغط القائد زرًّا عند قدمه ، فهبطت حواجز من المرايا العاكسة حول (عدلى) ، وعكست الأضواء كلها فى عينيه ، وراحت تدور حوله فى سرعة ، لتشتت رؤيته ، وقدرته على التركيز ، وصرخ القائد :

— أطلقوا عليه النار .

وارتفعت فُوّهات أربعة مسدَّسات نحو (عدلى) ..

وبدأ الصِّراع ..

* * *

٩ ـــ الصـراع الرّهيب ..

كان (ممدوح) أسرع الجميع ، فقد قفز من مقعده ، وسحق فكّ أحد الرجال الأربعة بقبضته ، والتقط مسدَّسه فى سرعة ، وأطلق منه رصاصتين سريعتين على رجلين آخرين ، فسقط أحدهما إلى جوار (رفعت) ، الذى انحنى يختطف مسدسه بدوْره ، ويُردِى الرابع برصاصته ، ثم اندفع مع (ممدوح) نحو المرايا العاكسة ، وراح الاثنان يطلقان عليها الرصاص ، حتى هشّموها ، وأطلق (ممدوح) رصاصة على رأس رجل أراد قتل (رفعت) ، وبدأ تبادل النيران ..

أما القائد ، فقد انتابه الفزع لدى رؤيته إشارات ضوئيّة ، مصحوبة بأزيز مرتفع ، فوق أحد أبواب القاعة ، فصرخ :

— لقد اقتحموا الفِيلّا ، فلنهرب سريعًا .

وانتهز فرصة الفوْضى ، التى سادت المكان ، فاندفع نحو المِصْعَد ، وقفز داخله ، ولكن (ممدوح) لمحه ، فاندفع نحوه ، ووثب يتعلّق بقاعدة المِصْعَد ، عندما بدأ فى الارتفاع ، فراحَ القائد يضرب على يديه بحذائه ، محاولًا منعه من الصعود ، إلّا أن (ممدوح) تشبّث فى قوّة ، وتمكّن من الإمساك بقدم



فراحَ القائد يضرب على يديه بحذائه ، محاولًا منعه من الصعود ، إلَّا أن (ممدوح) تشبَّث فى قوّة ، وتمكَّن من الإمساك بقدم غريمه ..

غريمه ، والإخلال بتوازنه ، ليسقط داخل المِصْعد ، ثم قفز بدوْرِه داخله ، ولكن القائد فاجأه بركلة قويَّة مؤلمة فى ساقه ، ثم أعقبها بلكمة قويَّة ، ضربت رأس (ممدوح) بجدار المِصْعد ، فى اللحظة التى بلغ فيها الطابق الأخير ، فقفز القائد من المَصْعد إلى سور خلفىّ للفيلّا ، وعَبَرَ منه إلى (جراج) خلفى ، حيث استقل إحدى سيّاراته ، وانطلق بها مبتعدًا ..

وقفز (ممدوح) داخل سيّارة أخرى ، وانطلق بدوره خلف القائد ، فى نفس اللحظة التى اقتحمت فيها القوّة البوليسية الفيلّا ، ونجحت مع (رفعت) و (عدلى) فى حصار أفراد المنظَّمة بالقاعة السُّفلى ، وإجبارهم على الاستسلام ، وألقت القبض على الجميع ، بالإضافة إلى (چيدو) ، عميل (لوتشيا) ، ومالك الفيلّا ، الذى يُعدُّ من أقوى رجال المنظَّمة ..

وعلى الرغم من السُّرعة الجنونية ، التى ينطلق بها (القائد) ، إلَّا أن (ممدوح) استطاع اللَّحاق به ، وفى أحد المنعطفات ، سبق سيّارته ، وقطع عليه الطريق ، فتراجع القائد بسيّارته فى سرعة ، ولكن (ممدوح) تخلَّى عن سيارته ، وقفز نحو سيّارة القائد ، وتعلَّق ببابها ، ثم وثب داخلها عبْر نافذتها ، وانقضَّ على القائد ...

ونشب بين الرجلين صراع رهيب ، حال دون سيطرة القائد على عجلة القيادة ، فاندفعت السيارة على غير هدى ، وانطلقت نحو جدار ضخم ، من الأسمنت المسلّح ، ولكن (ممدوح) كال للرجل لكمة قويّة ، وأمسك عجلة القيادة فى سرعة ، وتمكّن فى اللحظة الأخيرة من إيقاف السيّارة ، وتجنُّب الكارثة ، إلّا أن القائد انتهز الفرصة ، وقفز خارج السيّارة ، وفرّ هاربًا عَبْرَ الحقول المجاورة ، فقفز (ممدوح) خلفه ، ورآه يجتاز إحدى حظائر الماشية ، فأطلق لساقيه العِنان ، محاولًا اللّحاق به ، ولكن غريمه فاجأه من خلف إحدى الأبقار ، وشهر فى وجهه خنجرًا حادًّا ، وقفز محاولًا طعنه فى صدره ، فتفادى (ممدوح) الطعنة ، وتراجع فى سرعة ، وعندما أراد غريمه معاودة الكرّة ، قبض (ممدوح) على معصمه ، وركل معدته فى قُوّةٍ ، ثم قفز فى الهواء وركله فى وجهه فى عنف ..

وترنّح القائد ، وهو يتراجع فى ألم ، ولكنه لم يتخلَّ عن خنجره ، وراح يلوّح به فى وجه (ممدوح) ، الذى انحنى فى سرعة ، واختطف حفنة من العلف ، وألقاها فى وجه القائد ، الذى أغمض عينيه ، وحاول أن يزيل ما علق بوجهه ، فانقضَّ

عليه (ممدوح) كالصاعقة ، وأطاح بخنجره بضربة قويّة ، ثم انهال على وجهه بعدّة لكمات ألقته أرضًا فاقد الوعى ..

واعتدل (ممدوح) ، وشعر بالارتياح فى أعماقه ..

لقد انتصر ..

انتصر فى هذه الجولة ..

* * *



١٠ ـ المهمة الأخيرة ..

حلّقت الطائرة المصرية ، المتجهة إلى مدينة (أسوان) ، فى سماء القاهرة ، وبداخلها جلس (ممدوح) يتطلّع إلى زميله (رفعت) ، فى المقعد المجاور ، فى إشفاق ، وهو يشعر بشىء من تأنيب الضمير ، فقد كان (رفعت) يبدو فى حالة سيئة صحيًا ، بعد كل ما مرَّ به من أحداث ، وما واجهه من متاعب ، وعلى الرغم من ذلك كان (ممدوح) يحتاج إلى وجوده معه ؛ لتعرُّف تلك الإيطالية الحسناء ، التى استولت على الحقيبة .. فعلى الرغم من إلقاء القبض على كل أفراد التنظيم الإرهابى ، وقائده ، ونائب مدير مخابرات (لوتشيا) ، وعميله ، إلّا أنّ قضية الحقيبة المفقودة لم تُحسم بعد ، وما زال على (ممدوح) أن يتابعها إلى النهاية ، بعد أن أثبتت التحرّيات أن ذلك المهندس الفرنسىّ ، خطيب الفتاة ، قد ترك عمله بالشركة التى تعمل فى (القاهرة) ، وسافر مع زميلته إلى (أسوان) ، حيث أقاما بأحد الفنادق لثلاثة أيام ، ثم اختفيا دون أن يتركا خلفهما أدنى أثر ..

وفى تلك الأثناء ، وفى إحدى المناطق النائية ، جنوبىّ

أسوان ، بالقرب من الحدود السودانيّة ، توقّفت سيّارة (چيب) أمام منزل عتيق متهالك ، فى باطن الجبل ، وهبط منها رجل أسمر طويل ، قاسى الملامح ، له شارب ولحية غير مهذّبَيْن ، ودفع باب المنزل فى قوة ، حيث وجد أمامه الإيطالية ، وخطيبها الفرنسىّ ، الذى هبَّ من رقاده فى حركة حادّة ، وشهر مسدّسه فى وجه القادم .. الذى قال :

ـ لا داعى للانفعال .. إنه أنا .

أعاد الشاب مسدّسه إلى جيبه ، وقال فى توتُّر :

ـ هل حان وقت الرحيل ياشيخ (جاسم) ؟

أشعل الشيخ لفافة تبغ ، وقال :

ـ مازال الوقت مبكرًا .

نهضت الفتاة ، وهى تقول فى عصبيّة :

ـ ماذا تعنى بأن الوقت مازال مبكّرًا ؟!.. إننا هنا فى (أسوان) منذ أربعة أيام ، ولقد وعدتنا بالمعاونة على الهرب ، عَبْر الحدود المصرية السودانيّة ، خلال يومين ، فلِمَ المُماطلة ، وقد اتفقنا على الأجر مسبّقًا ؟

أجابها الرجل فى خشونة :

ـ ليست مسألة أجر .. لقد أخبرتكما من قبل أنها ليست عمليّة هيّنة ، ومن المحتّم أن أختار الوقت المناسب .

قال الشاب متوترًا :

ـــ ومتى يحين هذا الوقت الملائم ؟

الشيخ (جاسم) :

ـــ كنت أستعد لتهريبكما الليلة ، ولكن الحكومة تشدّد إجراءات الأمن على الحدود ، ولقد ازدادت قوات الشرطة على نحو ملحوظ .

قال الشاب فى قلق :

ـــ أيعْنِى هذا أنهم يعلمون بوجودنا فى (أسوان) ، وبخطّة هروبنا أيضًا ؟

أجابه الشيخ (جاسم) :

ـــ لا .. لست أظن للأمر علاقة بكما ، بل لابدّ أن لديهم بعض المعلومات ، عن عملية تهريب مخدرات ، أو ما شابه .. وغالبًا ما يكون تشديد الإجراءات مؤقتًا .. لقد اعتدنا هذا من حين إلى آخر .

هتفت الفتاة فى حِدّة :

ـــ أيًا ما كان الأمر ، أريد مغادرة هذا المكان بأقصى سرعة .

أجابها الشيخ فى حسم وصرامة :

ـــ العجلة والانفعال هما أفضل عاملين لسقوطكما .. لقد طلبتما منّى مساعدتكما ، فاتركا الأمر كله لى إذن و ...

بتر عبارته بغتة ، وأشار إليهما بالصمت ، ثم أسرع يطفئ مصباح المكان ، ويرهف سمعه فى انتباه ، حتى سمع الثلاث الطرقات الخافتة على الباب ، فشهر الشاب مسدسه فى توتُّر ، وقال الشيخ (جاسم) فى صرامة :

ـــ من ؟

أجابه صوت خافت :

ـــ افتح يا شيخ (جاسم) .. أنا (نعمان) .

قال الشيخ (جاسم) مهدّئًا من رَوْع الأجنبيَّين :

ـــ اطمئنا .. إنه أحد رجالى .

ثم فتح الباب ، فدلف منه شاب أسمر نحيل ، همس فى أذنه ببضع كلمات ، ارتسم لها القلق على وجه الشيخ (جاسم) ، ثم أشار للشاب بالانتظار خارجًا ، فسألته الفتاة فى توتُّر :

ـــ أحدَثَ شىء ؟

أجابها فى حسم :

ـــ يبدو أنهم قد علموا بوجودكما فى (أسوان) ، فرجالى يقولون إن ضابطين من (القاهرة) وصلا إلى هنا ، ويجريان تحرّياتهما بشأنكما .

هتف الفرنسى :

ــ هذا يجعل سرعة فرارنا حتمية .

الشيخ (جاسم) :

ــ ليست الأمور بهذه البساطة .

قاطعته الفتاة فى عصبيّة شديدة :

ــ فلتذهب أمورك إلى الجحيم .. نريد أن نغادر هذا المكان على الفور ، أيّا ما كانت المصاعب .

تفكّر الشيخ قليلًا ، ثم قال :

ــ أيمكنكما السفر عن طريق النهر ؟

سيلقانا :

ــ كيف ؟

الشيخ (جاسم) :

ــ هناك سفينة شحن صغيرة ، ستقلع غدا إلى (وادى حلفا) نهرًا ، ولكن الرحلة غير مأمونة و ...

قاطعته الفتاة فى حزم :

ــ إننا نوافق ..

الشيخ (جاسم) :

ــ حسنًا .. سأتفق مع صاحبها الليلة .

أمسك الشاب ذراعه ، قائلًا :

ــ أتثق فيه جيّدًا ؟

انتزع الشيخ ذراعه منه فى حدّة ، وقال فى غضب :

ــ لست أتعامل مع من لا أمنحهم ثقتى أيّها الشاب .. وانصرف كما أتى .

فى صمت ..

* * *

انطلقت سيّارة (چيب) ، يقودها أحد الجنود ، عَبْرَ مناطق وَعْرَة ، فى جنوبىّ (أسوان) ، حتى بلغت مقصدها ، وبدت لها أشجار النخيل ، والأبنية النُوبيّة ، ذات الأحواش المتسعة ، والأعمدة الفرعونية الطراز ، والتفت (ممدوح) إلى صديقه فى المقعد الخلفىّ ، وقال فى أسف :

ــ معذرة يا صديقى ، أعلم أنها رحلة مرهقة للغاية بالنسبة لك ، ولحالتك الصحيّة .. ولكنك تعلم أن وجودك معى ضرورىّ لتعرُّف الفتاة .

قال (رفعت) مبتسمًا :

ــ لا بأس .. إن حالتى طيّبة ، والمهم أن تأتى رحلتنا بالفائدة المرجوّة منها .

قال سائق السيّارة لـ (ممدوح) :

— ها هى ذى منطقة الشيخ (جاسم) وعائلته .

ممدوح :

— هل الأنباء التى حصلنا عليها صحيحة ؟

أجابه السائق :

— الكل هنا يعلم أنَّ الشيخ (جاسم) وعائلته تخصَّصوا فى عمليات التهريب ، عَبْر الحدود المصرية السودانية .. ولكن هذا الشيخ من الذكاء ، بحيث لم يتم إثبات ذلك عليه ، أو إلقاء القبض على أحد رجاله متلبِّسًا .

تطلَّع (ممدوح) إلى (رفعت) ، قائلًا :

— لو صحَّ تقديرى ، فمن المحتَّم أنَّ هذا الشيخ يعلم الكثير عن الفتاة والشاب .

رفعت :

— المهم ألَّا يكون قد نجح فى تهريبهما إلى (السودان) بالفعل .

ممدوح :

— بل المهم هو أن نجد لديه طرف خيط يقودنا إليهما ، وبعدها نقرِّر ما يجب أن نفعله ، وستنتظرنى هنا ، حتى أعود إليك .

رفعت :

— بل سآتى معك .

ممدوح :

— لست فى حالة تسمح لك بذلك .

انتزع (رفعت) مسدَّسه من غمْده ، وقال فى حزم ، وهو يغادر السيَّارة :

— لسنا بصدد المناقشة أو التفاوض .

انتزع (ممدوح) مسدَّسه بدوْره ، قائلًا :

— فليكن .

ثم التفت إلى السائق ، مستطردًا :

— انتظرنا هنا ، حتى نعود إليك .

تلفَّت السائق حوله فى خوف ، وهو يقول :

— خُذا الحذر جيِّدًا ، فالشيخ (جاسم) ورجاله لا يسمحون للغرباء بالاقتراب من ديارهم ، وهم يشتهرون بالقسوة والشراسة ..

وبينما كانوا يتحدَّثون ، كان هناك رجل يراقبهم ، من فوق إحدى شجرات النخيل .. ولم يكد يلمح (ممدوح) و (رفعت) يقتربان ، حتى أعطى إشارة خاصَّة لرجل يجلس

فى نافذة أحد المنازل ، فالتفت بدوره إلى الشيخ (جاسم) ، الذى جلس فوق عدد من الوسائد ، وقال :

ـــ غرباء قادمون .

راح الشيخ يعدّ لفافة تبغ فى هدوء ، وهو يقول فى لامبالاة :

ـــ أنتم تعرفون وسيلة استقبالهم .

طرق (ممدوح) باب المنزل بعد لحظات ، ففتح له أحد الأشخاص الباب ، وهو يرتدى الزِّىَّ التُّوبِىَّ المميَّز ، وقال له (ممدوح) :

ـــ نريد مقابلة الشيخ (جاسم) .. أهو هنا ؟

لم يجب الرجل على الفور ، بل تفحّصهما فى إمعان ، قبل أن يقول فى برود :

ـــ تفضّلا .

وهمس (ممدوح) فى أذن (رفعت) ، وهما يجتازان الفناء خلف الرجل :

ـــ ألم تلحظ أنه بدا كما لو أنه ينتظرنا ؟

غمغم (رفعت) فى قلق .

ـــ نظراته أيضًا لا تبعث على الارتياح و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحت منه التفاتة إلى أعلى ، وهتف فى جزع :

ـــ (ممدوح) .. احترس .

وقبل أن يدرك (ممدوح) ما يَعْنيه ، انقضَّ عليه شخص من أعلى ، فسقط تحت ثقل خصمه ..

واندفع رجلان آخران نحو (رفعت) ..

وكان استقبالًا رهيبًا بحقّ ..

* * *



١١ ـ مطاردة عَبْر الجبال ..

لم يكد (ممدوح) يسقط تحت ثقل ذلك الرجل ، حتى اندفع رجلان من خلف أعمدة الفناء ، وانقضا على (رفعت) ، ووضع أحدهما سكينًا على عنقه .. ولكن (ممدوح) استعاد سيطرته على نفسه بسرعة ، فدفع قدميه فى معدة غريمه ، وحمله ليلقيه خلفه ، وقفز الاثنان على أقدامهما فى آن واحد ، وركل الرجل (ممدوح) فى ذقنه ، فاصطدم بأحد الأعمدة ، وحاول (ممدوح) أن يلتقط مسدسه الذى سقط أرضًا ، ولكن الرجل الذى يهدد (رفعت) بسكّينه صاح به :

ــ ألق مسدسك أرضًا ، لو أردت أن يحتفظ صديقك بعنقه .

تظاهر (ممدوح) بالطاعة ، فأبعد يده عن الزّناد ، وأمسك ماسورة المسدّس ، وكأنه يهم بإلقائه أرضًا ، ولكنه ضغط زرًّا صغيرًا فى حافة الماسورة ، فانكشفت فيها فجوة صغيرة ، انطلقت منها كُرة معدنية ، ارتطمت بجبهة الرجل الممسك بالسّكين ، فسقط على الأرض ، إلى جوار سكّينه ..



وقبل أن يدرك (ممدوح) ما يعنيه ، انقضّ عليه شخص من أعلى ، فسقط تحت ثقل خصمه ..

ولم يكد (رفعت) يتحرر ، حتى انقضَّ على الرجل الآخر ، وقبض على ساعده ، وأطاح به أرضًا ، بحركة (جودو) بارعة ..

ولمح (ممدوح) ثلاثة آخرين ، يتقدمون من الجهة المقابلة ، فهتف بـ (رفعت) :

ـ اهرب بسرعة .. هناك آخرون .

وثب الاثنان وثبة واحدة ، وتعلقا على أثرها بحافة السور المطل على الفناء ، ثم تسلقاه فى سرعة ، والرجال يطاردونهما ، ولكنهما أخذا يعْدُوَانِ فوق السور ، حتى قفزا إلى سيارة (الجيب) ، التى أدار سائقها محركها ، وانطلق بها على الفور ..

واندفع أحد رجال الشيخ (جاسم) إليه ، هاتفًا :

ـ لقد هرب الغريبان .

انزعج الشيخ ، وهو يهتف :

ـ كيف حدث هذا ؟

قال الرجل :

ـ كانا مسلحين ، وكانت هناك سيارة (جيب) تنتظرهما .

صاح الشيخ (جاسم) :

ـ إنهما من رجال الشُّرطة .. مُرِ الجميع بمطاردتهما .. لا أريد أن يعودا إلى المدينة على قيد الحياة .

* * *

قال سائق سيارة (ممدوح) و (رفعت) ، وهو يلمح السيارة التى تطاردهم فى إصرار :

ـ إنهم يطاردوننا .

ممدوح :

ـ أعلم ذلك .. زِدْ فى سرعتك ، حتى نسبقهم إلى منطقة المعابد الفرعونية .

قال السائق فى دهشة :

ـ ولكن تلك المنطقة تؤدى إلى الجبل ، ويمكنهم محاصرتنا هناك .. لِمَ لا نستخدم الطريق الشرقى ؟.. إنه يؤدى إلى الطريق الممهد للمدينة .

ولكن (ممدوح) قال فى لهجة آمرة :

ـ بل اتجه إلى أرض المعابد .

سأله (رفعت) :

ـــ ألديك خطّة معيّنة ؟

ممدوح :

ـــ الطريقة التى استقبلنا بها أتباع الشيخ (جاسم) ، تدلّ على أننا نسلك الطريق الصحيح ، وعلى أنهم يخشون شيئًا ، ولا ريب أن لهذا الشىء صلة باختفاء الفتاة والنقود .

رفعت :

ـــ ولكن هؤلاء الرجال يتوجّسون خِيفَة من كل الغرباء .

ممدوح :

ـــ ليس إلى حدّ مهاجمتنا على هذا النحو ، دون السؤال حتى عن غرضنا من زيارتهم .

رفعت :

ـــ وما الذى تنوى فعله ؟

ممدوح :

ـــ لقد أرسل (جاسم) رجاله لاصطيادنا ، وسأستغلّ أنا منطقة المعابد لاصطيادهم .

رفعت :

ـــ وماذا بعد ؟

ممدوح :

ـــ سنجبرهم على أن يخبرونا بما يخفيه شيخهم .

اجتازت السيّارة أرض المعابد ، وقد خفّف السائق من سرعتها ، ليعبُر المنطقة الضيقة بين المعابد . وتبعته سيّارة رجال (جاسم) ، حتى وصلوا إلى نقطة بين عمودَيْن رخاميّين ، وجدوا فيها سيّارة (ممدوح) و (رفعت) خالية . فتوقّفوا ، وراحوا يتلفتون حولهم فى حيْرة ، بحثًا عنهما ، وقال أحدهم :

ـــ غادروا السيّارة ، وابحثوا عنهم فى المعابد .

ولكن قبل أن يتحرّك أحدهم قيدَ أنْمُلَة ، برز (ممدوح) و (رفعت) فجأة ، وصوّبا إليهم سلاحيهما ، ومعهما سائق السيّارة ، وقال (ممدوح) فى صرامة :

ـــ لو مسّ أحدكم سلاحه ، ستناله رصاصة على الفور .. ألقوا أسلحتكم ، وارفعوا أيديكم .

أطاعوا منصاعين ، فابتسم مستطردًا فى حزم :

ـــ والآن .. سيدور بيننا حديث قصير .. حديث عن شيخكم .

* * *

امتطى الشيخ (جاسم) وأحد أعوانه جملَيْن ، وقال الشيخ لتابعه :

— هل فحصت الحقيبة جيّدًا ؟

أجابه الرجل :

— نعم .. لم يكن بها سوى ما أخبرتك به .. فقط مجموعة من الثياب .

تفكّر الشيخ قليلًا ، وقال :

— لست أدرى لم يساورنى الشك فى أنها تحوى ما هو أكثر

سأله التابع :

— ما الذى يدعوك إلى الشك ؟

الشيخ (جاسم) :

— الذين يدفعون مبلغًا كبيرًا ، كهذين الأجنبيين ، مقابل تهريبهما عبْر الحدود ، لابدّ أنهما يحاولان تهريب شىء ذى قيمة تستحق كل هذه المخاطرة .

أجابه الرجل :

— ولِمَ لا تكون رغبتهما فى الفرار نابعة من ارتكابهما جريمة ما ؟

الشيخ (جاسم) :

— لقد تحرّيت عن ذلك ، وأكّدت تحرّياتى عدم حدوث ذلك .

سأله الرجل :

— ربّما هما من مهرّبى المخدّرات .

الشيخ (جاسم) :

— لقد تصوّرت ذلك فى البداية ، ولكنك تؤكّد أن الحقيبة لا تحوى سوى الثياب .

وصمت قليلًا ، ثم استطرد وكأنما تنبه إلى شىء ما :

— أليس من المحتمل أن الحقيبة تحوى جيبًا سرّيًا ؟

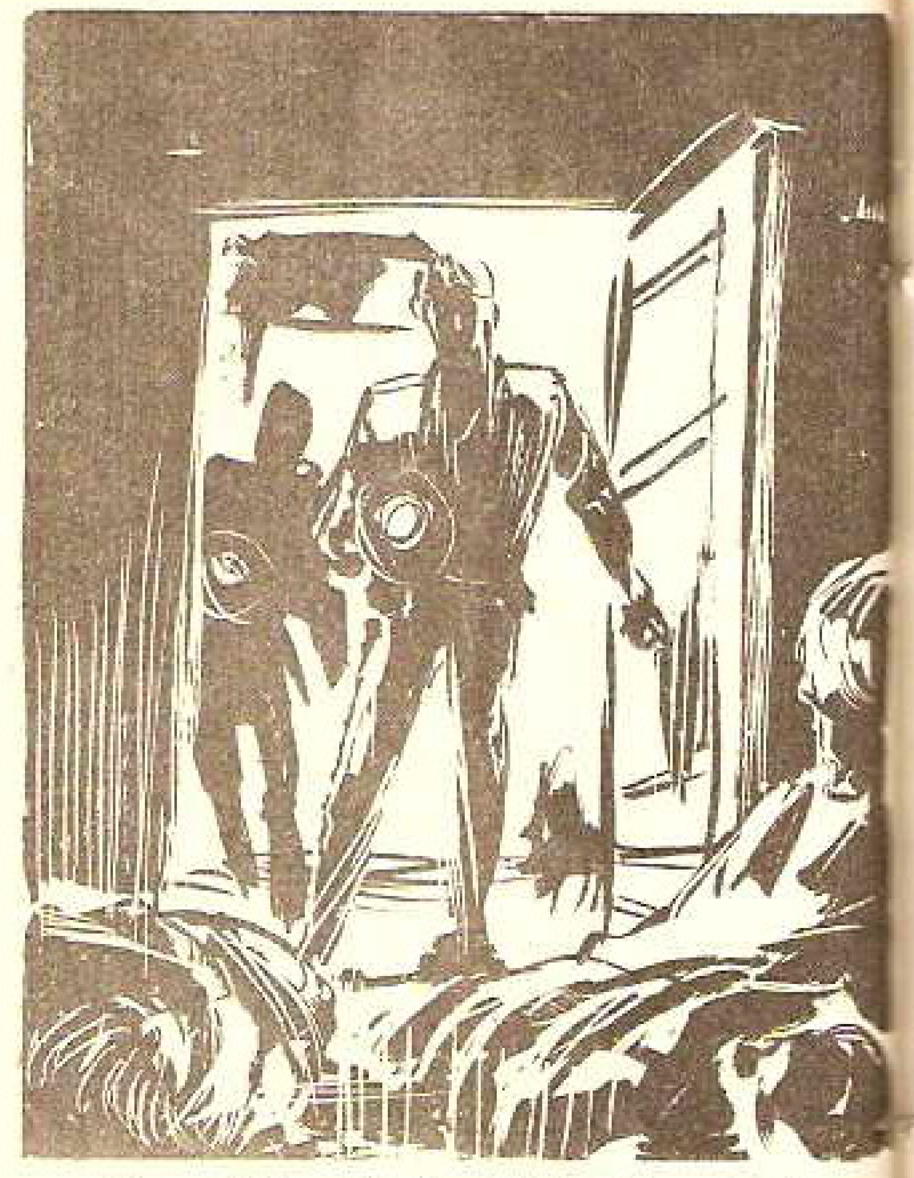
هتف الرجل فى دهشة :

— جيب سرّى ؟!.. لم أفكّر فى هذا أبدًا .. وما الذى يمكن عمله الآن ؟

أخرج الشيخ من تحت عباءته زجاجة خمر ، وقال :

— عندما نصل إليهما سنحتفل احتفالًا قصيرًا ، بمناسبة نجاحنا فى الاتفاق على تهريبهما عبْر النهر ، إلى (وادى حلفا) .. وبعد الاحتفال سيكونان مخمورين تمامًا ، وعندئذ نستولى على حقيبتهما ، ونفتش جيوبها السّرّية ، حتى ولو مزقناها بالخناجر ، فإذا ما تحقّق ظنّى ، سنقتلهما ، ونستولى على حقيبتهما .

سأله الرجل :



ودفع (ممدوح) الباب فى قوة ، وقفز خلفه (رفعت) ، وبدّد ضوء مصباحيهما الظُّلمة ، ليسقط على وجه الفتاة الإيطالية ..

ـ وماذا لو أن الحقيبة لا تحوى شيئًا ؟

ضحك الشيخ ، قائلًا :

ـ عندئذ سأتقاضى منهما باقى المبلغ ، كما اتفقنا من قبل .. وأنت تعلم سمعتى .

وأطلق ضحكة أخرى ، مستطردًا :

ـ كرجل يحترم كلمته .

* * *

تسلّل (ممدوح) و (رفعت) ، عَبْرَ ممرّ جبلىّ ، إلى ذلك المنزل ، الذى تختفى فيه الإيطالية وخطيبها .. وعندما امتدَّت يد الأول إلى مقبض الباب ، التصقت بها مادّة لزجة ، صوّب إليها خيط الضوء ، من مصباحه اليدوىّ الرفيع ، فأدرك سرّ تلك المادّة على الفور ..

ـ كانت دمًا ..

ودفع (ممدوح) الباب فى قوة ، وقفز خلفه (رفعت) ، وبدّد ضوء مصباحيهما الظُّلمة ، ليسقط على وجه الفتاة الإيطالية ، ووجهى جثتين وسط بركة من الدماء ..

وهتف (رفعت) مصدومًا :

— يا إلهى !!.. إنها هى !

أشار (ممدوح) إلى الجثث الأخرى ، هامسًا :

— يبدو أنها ضمن ضحايا مذبحة وحشية .

وعلى الرغم من خدعتها له ، لم يستطع (رفعت) إخفاء تأثره لمصرع الإيطالية ، فى حين أدار (ممدوح) ضوء مصباحه إلى ركن آخر ، قائلًا :

— يبدو أنها ليست آخر الضحايا .. هناك جثة أخرى فى الركن .

تطلَّع (رفعت) إلى الجثة ، وقال :

— إنه الفرنسىّ ، خطيب الفتاة .. وهذه الحقيبة إلى جواره تشبه حقيبتى .

مدَّ (ممدوح) يده إلى الحقيبة ، ثم تراجع فى دهشة .

لقد استيقظت جُثَّة ..

استيقظت تصوِّب إليه مسدَّسها فى صرامة ..

* * *

١٢ — سِرُّ الحقيبة ..

كانت تلك الجثة التى استيقظت هى الفتاة ..

استيقظت هاتفة فى صرامة :

— إيَّاك أن تمسَّها .

ابتسم (ممدوح) ، واعتدل قائلًا لزميله :

— عجبًا !!.. يبدو أن صديقتنا الإيطالية الحسناء تتشبث بالحياة ، وبالحقيبة .

هبَّت الفتاة واقفة ، وحدجتهما بنظرات ناريَّة ، وهى تقول فى شراسة :

— هذه النقود ملكى ، وسأقتل أى مخلوق يمسَّها .

أجابها (ممدوح) فى حزم :

— هذه النقود أصبحت ملكًا للدولة .. لقد دخلتها بغرض استخدامها فى أعمال تخريبية ، ومن حقِّ الدولة مصادرتها ، بعد إلقاء القبض على الإرهابيِّين ، ونحن نعلم أنه لا علاقة لك بتلك المنظَّمة ونشاطها ، ومن مصلحتك تسليمنا النقود ، حتى لا يزداد تورُّطك فى الأمر .

التفَّت أصابع الفتاة حول مقبض المسدَّس ، وهى تقول فى حدَّة .

ـ هذه النقود تساوى حياتى الآن .. لقد بذلت جهدًا جبّارًا ، وتضحيات كثيرة للحصول عليها ، ولن يبعدنى عنها سوى الموت .

قال (ممدوح) ، محاولًا استدراجها إلى الحديث ، حتى لا تقدم على تصرُّف أهوج ، فى حالتها الهستيرية هذه :

ـ أمِنْ أجل هذا قتلت هؤلاء ؟

أجابته وجسدها يرتعد :

ـ نعم .. لقد أراد (جاسم) وتابعه الاستيلاء على النقود ، وحاول أن يسكرنا ، ليستولى على الحقيبة ، وعندما أدركنا غرضه ، انقضَّ على خطيبى ، وطعنه بخنجره ، ولم أحتمل رؤيته يسقط أمامى جُثّة هامدة ، مضرجًا فى دمائه ، فاختطفت مسدّسه ، وأطلقت النار على (جاسم) وتابعه ، واحتفظت بباقى الرصاصات لمن تسوّل له نفسه لمس النقود .

حاول (رفعت) أن يهدئ من ثائرتها ، قائلًا :

ـ (سيلفانا) .. اسمعينى جيّدًا .. إنك لن تفلحى فى الهرب بهذه النقود ، فلا تحاولى توريط نفسك أكثر .

واقترب منها فى حَذَر ، مستطردًا :

ـ إننى أعلم جيّدًا أنك تختلفين عن أولئك المجرمين ، وأقدّر

الظروف الصعبة ، التى مررت بها ، ولكنّ الفرصة لم تفلت بعد .

هتفت الفتاة ، وهى ترتجف انفعالًا :

ـ لا تحاول الاقتراب منّى ، وإلّا أطلقت عليك النار .

ولكن (رفعت) لم يتراجع ، بل واصل اقترابه منها ، فضغطت الفتاة زِناد مسدّسها فى حِدّة .. وقفز (ممدوح) نحو زميله ، وأبعده عن مرمى النيران ، ثم جذب الفتاة من ساقيها ، وأخلّ بتوازنها ، وسرعان ما أطبق بقبضته على معصمها ، ليحول بينها وبين تصويب رصاصة أخرى إليه ، ولكنها أطلقت الرصاصة بالفعل ، فصاح بها (ممدوح) ، وهو يحاول حثّها على الاستسلام ، دون أن يضطر إلى إيذائها :

ـ ها قد فقدت رصاصتك الأخيرة ، فلا داعى إلى مزيد من العناد .

أرخت الفتاة أصابعها ، وتركت المسدّس يسقط ، ثم انخرطت فى بكاء هستيرىّ ، فى حين تناول (ممدوح) المسدّس ، وهو يساعدها على النهوض ، ووقف (رفعت) ينفض التراب عن ثوبه ، وتناول (ممدوح) الحقيبة ، وفتحها ، ثم مدّ يده إلى الجيب السّرّىّ ، وأبرز النقود لـ (رفعت) ، قائلًا :

— ها هو ذا سرُّ (الحقيبة الزرقاء) الخفيّ .

ولكن (رفعت) لم يهتم كثيرًا بما تحويه الحقيبة ، إذ بدا متعاطفًا مع الفتاة ، وهو يُقدِّمُ إليها منديله ، لتجفّف به دموعها ، ثم يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

— أظن أنه آن أوان العودة و ...

أشار إليه (ممدوح) أن يصمت ، ثم أشار إلى الخارج ، وأطفأ مصباحه ، هامسًا :

— أسمع وقع خطوات فى الخارج .

حاول (رفعت) أن يقول شيئًا ، ولكن (ممدوح) استطرد فى حزم :

— خذ (سيلفانا) ، وابتعد بها عن الباب .

أطاعه (رفعت) على الفور ، فى اللحظة التى فُتح فيها الباب فجأة ، ليظهر على عتبته رجل يحمل مدفعًا آليًا ، فسلّط (ممدوح) ضوء مصباحه اليدوى على وجه الرجل بغتة ، وأرداه قتيلًا برصاصة من مسدسه ، قبل أن يضغط زناد مدفعه ...

وصرخت (سيلفانا) عندما انفتحت النافذة على مصراعيها ، وقفز منها شخص آخر ، حاملًا سلاحه بدوره ،

ولكن (رفعت) أرداه قتيلًا ، وبدا من خلفه رجل ثالث ، ألقى نظرة على المكان ، ثم تراجع سريعًا ، وراح يصرخ :

— لقد قتلوا الشيخ (جاسم) .. لقد رأيته قتيلًا فى الداخل .

تعالت أصوات ثائرة فى الخارج ، واندفع رابع نحو المنزل ، على نحو انتحارى ، وهو يطلق النار من سلاحه فى إصرار ، فانبطح الثلاثة أرضًا ، وأطلق (ممدوح) رصاصة ، أصابت الرجل فى ساقه ، فسقط ومدفعه إلى جواره .. وقبل أن يعاود التقاطه ، قفز (ممدوح) واختطف المدفع ، وصوَّبه إلى الرجل ، قائلًا فى صرامة :

— كم عددكم بالخارج ؟

لم يجب الرجل ، فكرَّر سؤاله فى صرامة ، جعلت الرجل يجيب فى حدّة :

— أكثر مما يمكنك أن تحصيه .. لن تتاح لكم فرصة واحدة للنجاة .. إننا سننتقم للشيخ (جاسم) .. سننتقم له مهما حدث .

* * *

١٣ ــ الحصـــار ..

تطلّع (ممدوح) إلى (رفعت) فى قلق ، وقال :

ــ يبدو أننا قد أصبحنا محاصرين .

ارتفع صوت من الخارج يقول :

ــ استسلموا أيها الغرباء .. أنتم محاصرون من كل جانب ، استسلموا وإلّا أحرقناكم بالداخل أحياء .

رفعت :

ــ لن يتردّدوا فى تنفيذ تهديدهم .

ممدوح :

ــ أعرف ذلك .. ولكن النتيجة لن تختلف كثيرًا ، سواء خرجنا إليهم أو بقينا فى الداخل .. فسيقتلوننا حتمًا .

رفعت :

ــ وهل نقف مكتوفى الأيدى ؟

ممدوح :

ــ الأمر يحتاج إلى مخاطرة انتحاريّة .

رفعت :

ــ أنت تعرف أننى مستعد دومًا لأىّ نوع من أنواع المخاطرات ، ولكن (سيلفانا) ...

قاطعه (ممدوح) :

ــ ليس هناك بديل آخر .. إنها متورّطة منذ البداية .

قالت الفتاة :

ــ سأفعل أى شىء ، إلا أن أقف هنا فى انتظار الموت .

رفعت :

ــ ما خطّتك يا (ممدوح) ؟

ممدوح :

ــ سأحاول الوصول إلى (الجيب) فى الخارج ، ثم أستخدمها لنهرب من الحصار بأى ثمن .

رفعت :

ــ ولكنها محاولة جنونيّة ، وليست انتحاريّة .. فلن يسمح لك من فى الخارج بالوصول إلى السيّارة ، بأىّ حال من الأحوال ، فمجرّد الخروج من هنا يعنى الموت المحتّم .

ممدوح :

ــ سألعب على وتر أطماعهم ، وسنضحى ببعض النقود ، مقابل النجاة .

رفعت :

ــ لست أفهم .

ممدوح :

ـــ ليس لدىّ الوقت للشرح .. أعلم أن نسبة النجاة لن تتجاوز الواحد فى المائة ، ولكننى سأراهن عليها .

ارتفع الصوت الأجش من الخارج مرّة أخرى :

ـــ أنتم اخترتم طريق موتكم .. سنحرق المنزل .

ألصق (ممدوح) ظهره بجدار قريب من الباب ، وهتف :

ـــ أنتم تجازفون بخسارة رهيبة ، فلو اشتعل المنزل ، فستحترق خمسة ملايين دولار داخله ، ويمكنكم أن تحصلوا عليها بالتفاوض .

تطلّع أحدهم إلى الآخر فى الخارج ، وقال :

ـــ إنه يتحدّث عن خمسة ملايين دولار .

قال الآخر فى غضب :

ـــ إنه يحاول خداعنا .. دعْنا نقضى عليهم

عاد (ممدوح) يهتف ، وقد لاحظ ترددهم :

ـــ سأثبت لكم صحة حديثى .

والتقط رزمة من أوراق النقد ، وألقاها من النافذة .. ولم يكد يفعل حتى تخلَّى بعض الرجال عن أماكنهم ، وراحُوا يسْعَوْن لالتقاط النقود ، فى حين هتف أحدهم فى غضب :

ـــ أأعمتكم رؤية النقود عن الانتقام لشيخكم ؟

ولكن الشيخ (سعيد) ، قال لرجاله فى صوت يحمل رنّة خبث :

ـــ ومن قال إننا لن ننتقم لشيخنا ؟.. أيوجد ما يمنع من الحصول على الثروة أوّلًا ، ثم الانتقام ؟.. أليس من المؤسف أن نحرق بأيدينا خمسة ملايين دولار ؟

أجابه الرجل فى غضب :

ـــ ما أدراك أنهم يملكون تلك الدولارات ؟.. أليس من المحتمل أن تلك الحفنة التى ألقوها ، هى كل ما يملكونه ؟

أجابه الشيخ (سعيد) :

ـــ وما أدرانا لو أنهم يملكونها بالفعل ؟.. إننا نسيطر على الأمر تمامًا ، وسواء كانت النقود معهم أم لا ، فلن يمكنهم الإفلات من بين أيدينا .

هتف الرجل :

ـــ فلنهاجم المنزل بالأسلحة إذن ، بدلًا من النيران .

أطلق الشيخ (سعيد) زفرة قويّة من صدره ، وقال :

ـــ ولم المخاطرة ؟.. ألم تر ما أصاب الرجال الثلاثة ، الذين حاولوا اقتحام المكان من قبل ؟.. هؤلاء الرجال فى الداخل يجيدون إطلاق النار ، ولست أرغب فى المزيد من الخسائر ..

دعني أدير الأمر بأسلوبى ، وسأحصل على نقودهم ، وأقتلهم ، دون أن نخسر رجلا واحدًا من رجالنا .

ثم عاد ليهتف فى صوت مرتفع ، دون أن يترك لزميله فرصة للتفكير أو المناقشة :

ـ اسمعوا يا من بالداخل .. لقد أمرت رجالى بالتمهل ، قبل إشعال النار ، فليخرج أحدكم مع الحقيبة .

هتف (ممدوح) :

ـ سأخرج دون الحقيبة ، لنتفاوض أوّلا .

صاح الشيخ (سعيد) :

ـ حسنا .. سأسمح لك بالخروج .

ممدوح :

ـ أريد سيّارة (الجيب) الخاصّة بنا ، على بعد مترين من المنزل ، ومحرّكها دائر لنغادر أنا وزميلاى المكان ، بعد تسليمكم النقود .

هتف الشيخ (سعيد) :

ـ لك ما تريد .. شريطة أن تخرج أعزل .

ممدوح :

ـ فليكن ، ولكن ينفّذ شرطى أوّلا .

أشار الشيخ (سعيد) إلى رجاله ، لتنفيذ ما طلبه (ممدوح) ، قائلا فى خبث :

ـ لن يتحرّك بها مترا واحدا ، ولكن فليسمع صوت محرّكها ، لو أن هذا يسعده .

وفى الداخل ، تطلّع (رفعت) إلى (ممدوح) ، قائلا فى قلق :

ـ إنها مجازفة كبرى ، خاصة وأنك ستخرج إليهم أعزل .

طمأنه (ممدوح) ، قائلا :

ـ لقد اتفقنا منذ البداية على قبول المجازفة ، ولا تنس أن سيّارتنا ليست عاديّة ، ولست أهتمّ بالتسلح ، بقدر ما أهتمّ بما تحويه سيّارتنا .

رفعت :

ـ أرجو أن يكون العريف (أحمد) ، سائق السيّارة ، قد نجح فى الاتصال بقوات حرس الحدود ، وأن يصلوا فى الوقت المناسب .

أجابه (ممدوح) فى ثبات :

ـ لسنا نعمل بالأمنيات يا رجل ، بل بالوقائع .

تناهى إلى مسامعهم صوت محرّك سيارتهم وهى تقترب ،

حتى صارت على بعد مترين من المنزل ، وإلى جوارها وقف الشيخ (سعيد) ، واثنان من أعوانه ، فقال (ممدوح) :

ـــ اقتربا من الباب ، ولا تترددا لحظة واحدة .

كانت الفتاة تبدو مرتبكة متوترة ، فسألها فى حزم :

ـــ أتفهمين ؟

أومأت برأسها فى توتُّر ، فغادر (ممدوح) المنزل إلى السيَّارة ، حيث قام رجلا الشيخ (سعيد) بتفتيشه ، وهو يدير عينيه فى المكان ، ليحصى عشرات من الرجال ، يحملون المشاعل ، والأسلحة الناريَّة ، وقال الرجلان للشيخ (سعيد) بعد أن انتهيا من تفتيشه :

ـــ إنه لا يحمل سلاحًا .

الشيخ (سعيد) :

ـــ حسنًا .. ما شروطك .

ممدوح :

ـــ اسمحوا لزميلىَ بمغادرة المكان بالسيَّارة ، ثم أسلِّمكم حقيبة النقود .

الشيخ (سعيد) :

ـــ لا .. الحقيبة أوَّلًا .

ممدوح :

ـــ وكيف أضمن أنكم لن تقتلونا ، فور حصولكم على الحقيبة ؟

الشيخ (سعيد) :

ـــ ليس لديكم ضمان ، فى هذه الحالة ، سوى كلمتى .

تظاهر (ممدوح) بالتفكير قليلًا ، ثم قال :

ـــ حسنًا .. يبدو أنه لا مناصَ من ذلك ، ولكن هل يمكننى فحص السيَّارة أوَّلًا ؟.. أحب أن أتأكَّد أنها صالحة للسَّير .

الشيخ (سعيد) :

ـــ لك هذا .

تظاهر (ممدوح) بفحص الإطارات ، ثم فتح الغطاء الأمامىَ ؛ ليلقى نظرة على المحرِّك ، ومدَّ يده خفية بحركة سريعة ، فأدار زرًّا خفيًّا ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، ثم أعاد إغلاق الغطاء ، وقال :

ـــ حسنًا .. كل شىء على ما يرام .. سأحضر النقود .

قالها وهو يدير ظهره للسيَّارة ، ويواجه الشيخ (سعيد) ورجليه ، ليحُول بينهم وبين رؤية ما طرأ على السيَّارة ، إذ دارت مصابيحها حول نفسها ، وتركت فيها فجوتين ،


ومدّ يده خفية بحركة سريعة ، فأدار زرًا خفيًا ، وهو يتطلّع إلى ساعته .
ثم أعاد إغلاق الغطاء ..

تحرّكت داخلهما ماسورتان كالمضخات ، وتطلّع (ممدوح) إلى ساعته ، ثم قال فى حزم :

ــ والآن .

وقفز جانبًا ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها لسانان من النار ، من المضخّتين ، والتهما الشيخ (سعيد) ومعاونه ، فى حين تجمّد الثالث فى رُعب ، فانقضّ عليه (ممدوح) ، ولكمه فى قوّة ، فأطاح به بعيدًا ، وقفز إلى السيّارة ، قبل أن يضيع عنصر المفاجأة ، وانطلق بها ليقتحم المنزل ، الذى انهالت عليه عاصفة من الرصاصات والنيران ، وصاح بزميله والفتاة ، يطلب منهما القفز إلى السيّارة ، فوثبا إليها ، والتقط هو قنبلة يدويّة خفية ، من مكان سِرّىّ بالسيّارة ، وانتزع صمام أمنها ، وألقاها على الرجال ، فانفجرت وسطهم ، وهو ينطلق بالسيارة إلى الجبل ..

وفجأة .. أطلقت الفتاة صرخة ، ثم سقطت كالحجر ، وقد أصابت رصاصة رأسها ، وراح (رفعت) يُطلق النار فى كل الاتجاهات ، بمدفع آلىّ استولى عليه ممّن حاولوا اقتحام المنزل فى البداية .. ولكن المدفع سقط من يده ، إثر رصاصة أصابت كتفه ، وتناول (ممدوح) قنبلة أخرى ، ألقاها نحو الرجال الذين حاولوا اعتراض طريقه ...

وفجأة .. ارتفع هدير مراوح ثلاث طائرات هليوكوبتر ، حلقت فوق المنطقة الجبلية ، فبادر اللّصوص بالفرار ، وقد أدركوا أنهم قد خسروا الجولة ، والمعركة كلها ، إذ كانت الطائرات تحمل شعارًا مخيفًا .

شعار سلاح حرس الحدود ...

* * *

جلس (ممدوح) و(رفعت) ، فى حجرة اللواء (مراد) ، فى إدارة العمليّات الخاصّة ، يتلقّيان التهنئة من رئيسهما ، بالسلامة والنجاح ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

ـ لقد أدّيت المهمة على أكمل وجه يا (ممدوح) ، وستحصل مع (رفعت) حتمًا على إجازة ، تعوّضان بها ما عانيتماه .. ولكننى مازلت أجهل كيف عرفت الفتاة بأمر الحقيبة .

ممدوح :

ـ سأترك لـ (رفعت) مهمة شرح ذلك ياسيّدى .

رفعت :

ـ لقد أخبرتنى الفتاة فى أثناء حصار المنزل ، أن شقيقها يعمل فى مخابرات (لوتشيا) ، وأنه أفشى لها بالسرّ ، وهو

مخمور ، وأطلعها على الحقيبة ، التى يعدُّونها للاستبدال ، مع حقيبتى ، وعندئذ تفتّق ذهنها عن تلك الخطّة الجهنّمية ، لتحقّق حلمها فى الزواج من خطيبها الفرنسىّ ، فصنعت حقيبة مماثلة ، واستخدمتها لخداع الجميع .

اللواء (مراد) :

ـ كانت خطّة جهنمية بالفعل .

ممدوح :

ـ لقد أفادتنا هذه اللّعبة ياسيّدى ، إذ قادتنا لكشف أخطر منظّمة إرهابيّة فى (مصر) ، وواحدة من أخطر عصابات التهريب عبْر الحدود السودانية .

ضحك اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـ أضف إلى ذلك أنها قد أهدت إلينا اثنين من أخطر رجال مخابرات (لوتشيا) .

وأطلق (ممدوح) ضحكة بدوْره ، قائلًا :

ـ وخمسة ملايين دولار ياسيّدى ، وهى صفقة رابحة .. صفقة أهدتها إلينا حقيبة (رفعت) .. (الحقيبة الزرقاء) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف

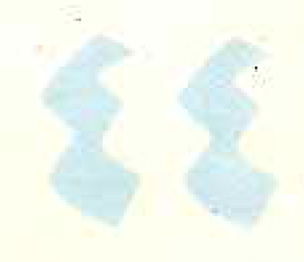


أ . شريف شوقى

الحقيبة الزرقاء

وتشب بين الرجلين صراع رهيب ، حال دون سيطرة القائد على عجلة القيادة ، فاندفعت السيّارة على غير هدى ، وانطلقت نحو جدار ضخم من الأسمنت المسلح ..

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى



العدد القادم

المصنع السرى

الثمن فى مصر

دولار الأمريكي فى سائر الدول العربية والعالم